المحرم بين الاتباع والابتداع

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٢٥ السنة الثالثة والخمسون - محرم ١٤٤٥ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

ثواب العمل الصالح

القراءة الغربية للقرآن الكريم وواقعنا الإسلامي المعاصر

- التحقيق في مسألة سماع الموتى
- الضوابط الشرعية للاتصالات الهاتفية
- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام لمجلة التوحيد
فضيلة الشيخ

أحمد يوسف عبد المجيد

هيئة التحرير:

مستشار التحرير:
جمال سعد حاتم

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

مطابع الأهرام التجارية ACP

السلام عليكم

وقفة لمحاسبة النفس

طويت صفحات عام هجري، وقد كتب في أسطرها كل كبير وصغير من الأقوال والأعمال الظاهرة التي اطلع عليها بعض الخلق أو الباطنة التي يجتهد العبد في إخفائها حتى عن أقرب الناس إليه، فكلها مدونة على العبد، شاهدة عليه بما قدم «مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (ق: ١٨) ولا شك أن في هذه الأعمال ما يفرح وفيها ما يحزن بل وما يخجل.

وكما تسطر أعمال العباد يشهد التاريخ على الأمم بما سطرت ودونت في صفحاته.

وها هي أول صفحة في العام قد فتحت وحمل الملائكة أقلامهم ليسطروا فيها عملك، وسريعًا ما ستنطوي وتصبح تاريخًا شاهدًا عليك، فاكتب فيها ما يفرحك.

وجدِّد صفحات عام مضى بإحداث توبة تبدل السيئات حسنات: «إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» (الفرقان: ٧٠).

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

من أسباب إجابة الدعاء د. عبد الله شاكر ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
ثواب العمل الصالح :
الشيخ حمد يوسف عبد المجيد ٨
التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية
د. عبدالرحمن فودة ١٢
أهمية الأخلاق في الإسلام
مهندس محمد ياسين بدر ١٥
من فتاوى الأزهر الشريف ١٧
زواج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
د. سيد عبد العال ٢١
نهاية العام: وقفة محاسبة
الشيخ عبده أحمد الأقرع ٢٤
المحرم بين الاتباع والابتداع
الشيخ أحمد سليمان ٢٧
القراءة الغربية للقرآن الكريم
د. عبد الوارث عثمان ٣١
واحة التوحيد علاء خضر ٣٦
التحقيق في مسألة سماع الموتى د. متولي البراجيلي ٣٨
شروط صلاة الجمعة د. حمدي طه ٤٣
نعمة تربية البنات الصالحات
الشيخ صلاح نجيب الدق ٤٥
الضوابط الشرعية للاتصالات الهاتفية
د. عبد القادر فاروق ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية
الشيخ علي حشيش ٥٣
التحذير من الشرك في العمل
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
من أخبار الجماعة ٦١
باب التراجم (الشيخ رشاد الشافعي) ٦٣
حكم ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم من الأفعال
المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٦٦
الأطفال والمساجد الشيخ صلاح عبد الخالق ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
GTAWHEED@HOTMAIL.COM

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

من أسباب إجابة الدعاء

بقلم:

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فقد تكلمت في اللقاء الماضي عن السبب الأول من أسباب إجابة الدعاء، وأواصل في هذا اللقاء ذكر بعض من هذه الأسباب، فأقول وبالله التوفيق:

السبب الثاني: اتباع الهدى النبوي في الدعاء:

فكما أن الإخلاص لله تعالى في الدعاء شرط ليكون مقبولاً فكذلك يشترط فيه اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم، إذ إن هذين الأمرين هما شرط قبول جميع الأعمال، كما قال تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا» (الكهف: ١١٠). والمعنى: أن العبد لا ينال ما عند الله إلا بالإخلاص لله، والمتابعة لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية: «فَمَن كانَ يَرْجُو لقاء رَبِّه» أي: ثوابه وجزاءه الصالح، «فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا»، أي: ما كان موافقًا لشرع الله «وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّه أحَدًا»، وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم. (تفسير ابن كثير، ج٣/١٥٢).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «أخلصه وأصوبه». قيل: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على السنة». (الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا، ص ٥٠).

ولذلك يجب على جميع المسلمين اتباع طريق سيد الأنبياء والمرسلين، وعدم الخروج على ما جاء به، وقد ترك صلى الله عليه وسلم أمته، وقد بلغ البلاغ المبين في جميع ما يحتاجون إليه، فالزم أيها المسلم طريق النبي عليه الصلاة والسلام، واعبد الله بما شرع، لأن العبادة مبناها على التوقيف والاتباع، قال ابن تيمية رحمه الله: «لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان، ولا

يحيط به إنسان، وما سواها من الأذكار قد يكون محرمًا، وقد يكون مكروهًا، وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس، وهي جملة يطول تفصيلها، وليس لأحد أن يسن للناس نوعًا من الأذكار والأدعية غير المسنونة ويجعلها عبادة راتبة، يواظب الناس عليها، كما يواظبون على الصلوات الخمس، بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به، بخلاف ما يدعو به المرء أحيانًا من غير أن يجعله للناس سنة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرمًا لم يجز الجزم بتحريمه، لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به، وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت، فهذا وأمثاله قريب، وأما اتخاذ ورد غير شرعي، واستنان ذكر غير شرعي، فهذا مما ينهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصد العلية ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة إلا جاهل أو مفرط أو متعد». (مجموع الفتاوى ج٢٢/٥١٠).

وهذا كلام في غاية النفاسة من هذا الإمام، وفيه بيان أن لزوم الذكر الوارد هو الذي يحقق السلامة للتأكد، وهذا هو غاية ما يسعى له العبد المؤمن، ولا يجوز للمسلم أن يعدل عن الأذكار الشرعية إلى غيرها من أذكار مبتدعة لم يأذن بها الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، لأن الأذكار المبتدعة من وحي الشيطان إلى أوليائه، وهي لا تحقق نفعًا ولا تزيد القلب هداية.

قال القاضي عياض رحمه الله: «أذن الله في دعائه، وعلم الدعاء في كتابه لخليقته، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء لأمته، واجتمعت فيه ثلاث أشياء، العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه صلى الله عليه وسلم، وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام، فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم». (الفتوحات الربانية لابن علان ج١/١٧).

لذلك أقول: يجب عل كل من أراد السلامة لنفسه والنجاة بين يدي ربه أن يحافظ على الأدعية النبوية ففيها الخير كله، ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أكمل الناس ذكرًا لله، وأحسنهم وأفضلهم دعاء لربه ومولاه، وكلماته صلى الله عليه وسلم، فيها من الخير والبركة والهداية ما ليس في غيرها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في مفتتح خطبه يقول: «إن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم»، ولذلك قام فريق من أهل العلم بجمع الأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم لتكون بين أيدي الناس ويتوجه إلى الله بالمأثور والوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لهذا ألف الطبراني رحمه الله كتابه الدعاء، وقال في مقدمته: «هذا كتاب ألفته جامعًا لأدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم هداني على ذلك أني رأيت كثيرًا من الناس قد تمسكوا بأدعية سجع، وأدعية وضعت على عدد الأيام مما ألفها الوراقون لا تروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن أحد من التابعين بإحسان، مع ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من الكراهية للسجع في الدعاء والتعدي فيهن فألفت هذا الكتاب بالأسانيد المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم». (الدعاء للطبراني، ج٢/٧٨٥).

ومن الكتب التي اشتملت على أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الأذكار للنووي، والكلم الطيب لابن تيمية، والوابل الصيب لابن القيم، وحصن المسلم للدكتور/ سعيد القحطاني، فعلى المسلم أن يقتصر في دعائه على الأدعية النبوية ويترك ما سواها مما أحدثه الناس، ومما يدل على ذلك

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوب من يغير في الدعاء ولو كان لفظًا واحدًا، كما في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الايمن وقل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة، فاجعلهم آخر ما تقول. فقلت استذكرهن وبرسولك الذي أرسلت، قال: لا، وبنبيك الذي أرسلت». (البخاري (٦٣١١)، ومسلم (٢٧١٠)).

قال ابن حجر رحمه الله في شرحه للحديث: «وأولى ما قيل في الحكمة في رده صلى الله عليه وسلم على من قال: الرسول، بدل النبي: أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص، وأسرار لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به». (فتح الباري، ج١١/١١٢).

لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم ينكرون على من يغير شيئًا من الأذكار والدعوات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان لفظًا واحدًا، كما أنكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على من اجتمعوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكروا الله بهيئة وطريقة لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، في هذا الكلام الذي قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، لما قال له أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «يا أبا عبد الرحمن: إني رأيت في المسجد آنفًا أمر أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصًى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك، أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى على حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن: حصًى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم، متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد صلى الله عليه وسلم؟ أو مفتتحو باب ضلالة؟ قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير؟ قال: وكم مريد للخير لن يصيبه». (سنن الدارمي، ج١/٧٩).

فانظر أيها المؤمن الموحد، كيف أنكر عليهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مخالفتهم لفعل النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر، مع التزامهم بالألفاظ الشرعية، فما نقول اليوم لقوم أحدثوا في الذكر ألفاظًا لم يرد بها الشرع، بل هي من صنع عقولهم أو شيوخهم، والواجب اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم، في ألفاظ الذكر وهيئته، وعدم إحداث شيء لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والعبرة في ذلك ليس بكثرة الذكر وكثرة ألفاظه، بل في الإتيان به كما كان يفعل صلوات الله وسلامه عليه، وصدق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله: «اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة». (المعجم الكبير للطبراني، ج١٠/٢٠٨).

ومن طلب السلامة لنفسه وقبول عمله عند ربه، فليقتصر على الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لذكره، وأن يتقبله منا، والحمد لله رب العالمين.

سورة لقمان

سورة لقمان
سورة لقمان

قال الله تعالى: «الٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ »

(لقمان: ١- ٥).

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

بين يدي السورة:

سُمِّيتْ السورة باسم لُقْمان لاشْتمالها علَى قصَّته، الَّتي تَضمَّنتْ فضيلة الحكْمة، وسر معْرفة الله تعالى وصفاته، وذمّ الشِّرْك، والأمْر بالأخْلاق والأفعال الحميدة، والنَّهْي عن الذَّميمة، وهي مُعْظمات مقاصد القُرْآن (محاسن التأويل ١٣/ ١٩٢).

مُناسبتها لما قبْلها:

ووجْه ارْتباط أوّل هذه السُّورة بآخر ما قبْلها هُو أنّ الله تعالى لمَّا قال: «ولقدْ ضربْنا للنَّاس في هذا القُرْآن من كُلّ مثلٍ» إشارة إلى كوْنه مُعْجزة، وقال: «ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إنْ أنتمْ إلا مُبْطلون ٥٨» (الرُّوم: ٥٨) إشارة إلى أنَّهمْ يكْفرُون بالآيات، بيَّن ذلك بقوْله: «الم ١ تلْك آيات الكتاب الحكيم ٢» ولمْ يُؤْمنُوا بها، وإلى هذا أشار بعْد هذا بقوْله: «وإذا تُتْلى عليْه آياتنا ولّى مُسْتكْبرًا كأن لمْ يسْمعْها كأنَّ في أذنيْه وقْرًا فبشّرْهُ بعذاب أليم ٧» (التفسير الكبير ٢٥/ ١٤٠).

وذكر فيما تقدَّم قوْله تعالى: «وهُو الَّذي يبْدأ الخلْق ثُمَّ يُعيدُهُ وهُو أهْونُ عليْه»، وهُنا قوْله سُبْحانهُ: «مَا خلْقُكُمْ ولا بعْثُكُمْ إلاَّ كنفْس واحدة»، وكلاهُمَا يُفيد سُهُولة البعْث، وذكر سُبْحانه هُناك قوْله تعالى: «وإذا مسَّ النَّاس ضُرٌّ دعوْا ربَّهُم مُنيبين إليْه ثُمَّ إذا أذاقهُم منْهُ رحْمةً إذا فريقٌ منْهُم بربّهمْ يُشْركُون ٣٣»، وقال عز وجل هُنا: «وإذا غشيهُم موْجٌ كالظُّلل دعوُا الله مُخْلصين لهُ الدّين فلمَّا نجَّاهُمْ إلى البرّ فمنْهُم مُقْتصدٌ وما يجْحدُ بآياتنا إلاَّ كُلُّ ختَّار كفُور ٣٢»، فذكر سُبْحانه في كُلّ من الآيتيْن قسْمًا لمْ يذْكُرْه في الأُخْرى.

وما ألْطف هذا الاتّصال منْ حيْثُ إنّ السُّورة الأُولى ذُكر فيها مغْلُوبيَّة

الرُّوم وغَلَبَتُهم، المَبْنِيَّتَيْن على المحاربة بين ملكين عظيمين من مُلوك الدُّنيا تحاربا عليها، وخرجا بذلك عن مُقتضى الحِكْمَة، فإنَّ الحكيم لا يُحارب على دُنيا دنيَّة، لا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة، وهذه ذكر فيها قصة عبد مملوك، حكيم، زاهد في الدُّنيَا، غير مُكترث بها، ولا مُلتفت إليها، أوصى ابنه بما يأبى المحاربة، ويقتضي الصَّبر والمسالمة، وبين الأمرين من التَّقابل ما لا يخفى (روح المعاني: ٢١/٦٥).

ما اشتملت عليه:

سُورة لُقمان سُورة مكيَّة، شأنها شأن السُّور المكية في الاهتمام بترسيخ العقيدة، وبيان أصول الدين، وأركان الإيمان، وقد ركزت على الأصول الثلاثة: التَّوحيد، والنُّبوة، والبعث بعد الموت، وذكرت بإجمال ما ذكر في الرُّوم بالتَّفصيل من أدلة التَّوحيد والبعث، ولكنَّها انفردت بذكر نموذج من نماذج الآباء المؤمنين الحريصين على تربية أبنائهم التربية الصَّحيحة القائمة على سلامة العقيدة ومكارم الأخلاق، ليكون مثلًا أعلى للآباء في تربية أبنائهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

«الم ١ تلك آيات الكتاب الحكيم ٢ هُدى ورحمة للمُحسنين ٣ الَّذين يُقيمُون الصَّلاة ويُؤتون الزَّكاة وهم بالآخرة هُم يُوقنون ٤ أولئك على هُدى من رَبِّهم وأولئك هُم المُفلحُون ٥» (لقمان: ١-٥):

مِن صفات القرآن الكريم:

« تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ »:

«تلك» اسم إشارة للمُؤنَّث البعيد، جيء به للإشارة إلى عُلو مكانة الآيات، كما قال تعالى عن القرآن: « وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ » (الزخرف: ٤). و«الكتاب الحكيم ٢» لأنَّه « تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (فصلت: ٤٢). فكيف لا يكون حكيمًا؟! ولذلك قال تعالى: « كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ » (هود: ١).

ومن إحكام الآيات أنَّها جاءت بأجل الألفاظ وأفصحها، وأبينها، الدالَّة على أجل المعاني وأحسنها.

ومن إحكامها: أنها محفوظة من التَّغيير والتَّبديل، والزيادة والنَّقص، والتَّحريف.

ومن إحكامها: أنَّ جميع ما فيها من الأخبار السَّابقة واللاَّحقة، والأمور الغيبيَّة، كُلها مُطابقة للواقع، مُطابق لها الواقع، لم يُخالفها كتاب من الكُتب الإلهيَّة، ولم يُخبر بخلافها نبيٌّ من الأنبياء، ولم يأت ولن يأتي علم محسُوس ولا معقول صَحيحٌ يُناقض مَا دَلَّتْ عليه.

ومن إحكامها: أنَّها ما أمرت بشيء، إلاَّ وهو خالص المصلحة، أو راجحها، ولا نهت عن شيء، إلاَّ وهو خالص المفسدة أو راجحها، وكثيرًا ما يجمع بين الأمر بالشَّيْء مع ذكر فائدته، والنَّهي عن الشَّيْء مع ذكر مضرَّته.

ومن إحكامها: أنَّها جمعت بين التَّرغيب والتَّرهيب، والوعظ البليغ، الَّذي تعتدل به النُّفوس الخيِّرة وتحتكم فتعمل بالحزم (تيسير الكريم الرحمن: ٦/١٤٧و١٤٨).

ومن إحكامها: أنَّك ترى القصة الواحدة تتكرر في القرآن مرات ومرات، بألفاظ مختلفة، وعبارات متنوعة، ومع ذلك لا تجد بينها تضاربًا ولا تعارضًا.

ومن إحكامها: أنها ٦٢٣٦ آية، ومع ذلك فكلها في الفصاحة والبلاغة سواء، لا فرق بين أطول آية وأقصر آية.

ومن إحكامها: أن القرآن نزل على مدار ثلاث وعشرين سنة، وكله في الإحكام والإتقان سواء، لا فرق بين أول ما نزل وآخر ما نزل، وهذا بخلاف كلام البشر، فإن أحدهم إذا كتب كتابًا لا يكون في الفصاحة والبلاغة على درجة سواء، وإنما يتفاوت

الكتاب الواحد من باب إلى باب، ومن فصل إلى فصل، ثم إذا أعاد النظر فيه قدم وأخر، وزاد ونقص، وصدق الله العظيم حيث قال عن القرآن الحكيم: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا» (النساء: ٨٢).

«هدى ورحمة» حالان للآيات، والمعنى أن الله تعالى أنزل آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للناس، كما قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ» (البقرة ١٨٥).

جزاء المحسنين:

وانما خص المحسنين هنا بالهدى والرحمة. فقال: «هدى ورحمة للمحسنين ٣»، وخص بهما المؤمنين في قوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ» (يونس: ٥٧)، لأن المؤمنين المحسنين هم الذين اهتدوا بهدي القرآن وشملتهم رحمته. أما الذين كفروا وكذبوا بآيات الله واستكبروا عنها فلم يهتدوا بهديه، ولم تشملهم رحمته، مع كونه بين أيديهم.

ثم وصف الله تعالى المحسنين فقال: «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ٤»، ونستطيع أن نجمل هذه الصفات في قولنا: المحسنون هم أصحاب العقيدة الصالحة والعمل الصالح، أما العقيدة فقد عبر عنها ربنا سبحانه بقوله: «وهم بالآخرة هم يوقنون ٤» فلا شك عندهم ولا ريب أنهم ملاقوا الله، وأنه سيجزيهم بأعمالهم، «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ» (الزلزلة: ٧، ٨)، فلذلك هم حريصون على الأعمال الصالحة التي يرجون برها وثوابها يوم الدين، وقد خص الله تعالى من أعمالهم الصلاة والزكاة، فقال: «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة»، لأن الصلاة أعظم حق لله تعالى على العباد، والزكاة أعظم حق للعباد بعضهم على بعض، فمن أقام الصلاة كان لغيرها من حقوق الله مؤديا، ومن آتى الزكاة كان لغيرها من حقوق العباد مؤديا، ومن أقام الصلاة فقد أحسن فيما بينه وبين الله، ومن آتى الزكاة فقد أحسن فيما بينه وبين الناس.

وقد تكرر تفسير المحسنين بما ذكر في قوله تعالى: «إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ» (الذاريات: ١٥-١٩).

فلا تتم نجاة الإنسان إلا بالإحسانين، الإحسان فيما بينه وبين الله، والإحسان فيما بينه وبين الناس، وبذلك وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» (صحيح الترمذي:١٩٨٧).

ثم شهد الله تعالى للموصوفين بالهدى والفلاح، فقال: «أولئك على هدى من ربهم»، والإنسان إذا علا شيئا تمكن منه، فأولئك المحسنون قد تمكنوا من الهدى، وتمكن الهدى من قلوبهم، «وأولئك هم المفلحون ٥»، أي الفائزون، يقال: أفلح الرجل، إذا نجا مما يخاف، وظفر بما يرجوا، وليس شيء أخوف للمؤمن من النار، ولا أرجى له من الجنة، فالمحسنون هم المفلحون، أي هم أصحاب الجنة، كما قال تعالى: «إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ» (الذاريات: ١٥، ١٦).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

ثواب العمل الصالح

إعداد **الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد**
الرئيس العام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعدُ: فإن الله تعالى لا يقبل من العمل الصالح إلا ما كان خالصًا لوجهه سبحانه قال تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا» (الكهف: ١١٠). قال ابن كثير رحمه الله: «فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّه» أي: ثوابه وجزاءه الصالح: «فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا» ما كان موافقًا لشرع الله، «وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّه أَحَدًا». وهو الذي يُراد به وجه الله وحده لا شريك له. وهذان ركنا العمل المتقبَّل لا بد أن يكون خالصًا لله، وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ » (الزمر: ٢)، وقال سبحانه: « قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى» (الزمر: ١٤).

وكيف لا يخلص العبد لربه وهو الحي سبحانه وما سواه ميت « هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ» (غافر: ٦٥).

بل إن المشركين يعرفون بفطرتهم أن الإخلاص هو سر قبول كل عمل، وحكى القرآن عنهم « فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ» (العنكبوت: ٦٥).

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: إن الله تعالى أخبر عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له، وقال القرطبي «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ» يعني السفن وخافوا الغرق: «دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَه

الدِّينَ»: أي صادقين في نياتهم وتركوا عبادة الأصنام ودعاءها.

وقد أحسن ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في بيان صفات المخلصين وكيف يحقق العبد الإخلاص فقال: (أهل الإخلاص: أعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله ومنعهم لله، وحبهم وبغضهم لله، أعمالهم ظاهرة وباطنة لوجه الله وحده، لا يريدون من الناس جزاء ولا شكورًا، ولا ابتغاء الجاه عندهم ولا طلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم، ولا هربًا من ذمّهم، فالناس لا يملكون ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فمن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه). (مدارج السالكين، ج١، ص ٦٤، طبعة دار التقوى).

والحديث عن الإخلاص حديث عن عمل من أعمال القلوب والقلوب لا يستطيع أحد أن يحكم على سلامتها أو مرضها، إنما هي محل نظر الله تعالى وأول حديث في الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات...».

> “أهل الإخلاص: أعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله ومنعهم لله، وحبهم وبغضهم لله، أعمالهم ظاهرة وباطنة لوجه الله وحده.”

ومن عجب أمر الإخلاص أن المخلص يدرك بإخلاصه أجر العمل الذي عجز عنه، وقد جاء هذا المعنى فيما جاء في سورة التوبة في شأن من لم يجد النبي ما يحملهم عليه في غزوة تبوك، فكان بكاؤهم نابعًا من إخلاصهم، لذا عذرهم رب العباد سبحانه وأنزل فيهم قوله تعالى: «وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ» (التوبة: ٩٢).

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أن هؤلاء- وسُموا بالبكائين- استحملوا رسول الله «يعني طلبوا أن يحملهم». وكانوا أهل حاجة، فقال لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون، لقد علم الله منهم الإخلاص فكتب لهم الأجر بإخلاصهم، وأورد البخاري في كتاب المغازي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من غزة تبوك فدنا من المدينة فقال: «إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم. قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة؛ حبسهم العذر».

بل إن العبد بإخلاصه يبلغ منازل الشهداء وإن مات على فراشه. كما في صحيح مسلم

من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه». قال النووي رحمه الله: وفي الرواية الأخرى: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه».

ومعنى الرواية الأول مفسر من الرواية الثانية ومعناهما جميعًا أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطى من ثواب الشهداء وإن مات على فراشه.

وإخلاص العبد في عمله يُحوّل العادة إلى عبادة، كما في المتفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك».

ويكفي في الإخلاص أن يصرف الشيطان عن أن يكون له سلطان على المخلص وقد جاء ذكر ذلك مرتين: الأولى في قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ» (الحجر: ٣٩- ٤٠).

“إخلاص العبد في عمله يُحوّل العادة إلى عبادة.”

والثانية: في قوله سبحانه: «قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ» (ص: ٨٢- ٨٣).

وتوبة العبد لا تقبل إلا إذا صحبها الإخلاص قال تعالى: «وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (النور: ٣١).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: في الآية حث على الإخلاص بالتوبة في قوله: «تُوبُوا إلى الله» أي لا تقصدوا غير وجه الله من سلامة من آفات الدنيا أو رياء أو سمعة أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة.

فأقبل يا عبد الله على ربك بقلبك، موقنًا أنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، لا يملك لك أحد سواه نفعًا ولا ضرًا؛ فاعمل العمل تريد وجهه سبحانه ترجو به النجاة من النار والفوز بالجنة؛ سائلاً إياه أن يقبله منك لا رياء ولا سمعة، وهذا هو الإخلاص.

كما أشار القرآن الكريم إلى أن الفلاح في الدنيا والآخرة لا يتحقق إلا بإرادة وجهه الله تعالى في الأعمال حتى ولو كان ذلك في المعاملات بين الأقارب والمحتاجين، فقال سبحانه: «فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (الروم: ٣٨)، وكما في قوله سبحانه: «لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ» (النساء: ١١٤).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص، فلهذا ينبغي أن يقصد وجه الله تعالى

ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل جزء من أجزاء الخير ليحصل بذلك الأجر العظيم وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا؛ لأن النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل».

وإذا كان الإخلاص هو طريق الفلاح وباب الأجر العظيم، فإن الرياء محبط للعمل مضيع له، قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ » (البقرة: ٢٦٤). ورحم الله ابن كثير حيث قال عند تفسيره لهذه الآية: «إن المرائي يظهر أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس، أو يُقال إنه كريم، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، ولهذا قال: « وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ » (البقرة: ٢٦٤).

> “أقبل يا عبد الله على ربك بقلبك، موقنا أنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، لا يملك لك أحد سواه نفعا ولا ضرا؛ فاعمل العمل تريد وجهه سبحانه ترجو به النجاة من النار والفوز بالجنة؛ سائلا إياه أن يقبله منك.”

فما أحوجنا إلى الإخلاص الذي حرك الله به الصخر عن باب الغار، كما في حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم باب الغار بصخرة عظيمة لا يستطيعون تحريكها، إنما كان إخلاصهم سببًا في نجاتهم.

أما الركن الثاني من أركان قبول العمل فهو أن يكون العمل صوابًا صحيحًا ولا يتحقق ذلك إلا باجتماع أربعة أشياء، وهي: انعقاد سببه، وتحقق شروطه، وانتفاء موانعه، واكتمال أركانه، فإذا تخلف واحد من هذه الأربعة لم يكن العمل صحيحًا ولا صوابًا ومثال ذلك: أن الصلاة لا تصح إلا بدخول الوقت . فإذا دخل الوقت وجبت الصلاة، ما لم يكن هناك مانع من موانع الوجوب كالحيض أو النفاس بالنسبة للمرأة، فإذا انتفت الموانع وجب أن تتحقق الشروط كطهارة الثوب والمكان والبدن من الحدث والخبث، فإذا تحققت الشروط وجب على العبد أن يكمل أركان العبادة، وقبل هذا كله يكون تقربه إلي ربه بما شرعه الله لا بما ابتدعه المبتدعون وهذا المجموع هو الذي يعبر عنه أهل العلم بمصطلح: متابعة السنة.

وأما ثمرة المتابعة فهي نيل رضى الله عز وجل ومحبته للعبد ، قال تعالي: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (ال عمران: ٣١)

رزقنا الله جميعًا الإخلاص في القول والعمل، والله من وراء القصد.

التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية

(بين روايتي ورش وحفص نموذجًا)

إعداد د. عبد الرحمن فودة

مدخل:

القراءات القرآنية علم من أهم العلوم التي أولاها العلماء عناية فائقة؛ حيث ألفت فيه مؤلفات كثيرة تبرز قواعد هذه القراءات ومتواترها وشاذها، وتبين الاختلافات فيما بينها، وما يترتب على هذه الاختلافات.

وفي هذه الصفحات محاولة لإبراز وجه من وجوه الجمال القرآني من حيث البيان والبلاغة التي تتجلى من خلال ظواهر الاختلاف بين القراءات إذ إن (كل قراءة تفتح أمام قارئها المتذوق لها روضة من المعاني والدلالات، كما أن القراءة الثانية قد تكمل ما ورد في القراءة الأولى من معان أو تفصل ما ورد فيها من إجمال).

وأول من قرأ بالقراءات القرآنية هو النبي صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أقرأني جبريل على حرف، فراجعته؛ فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف».

وبداية نود أن نسأل: ما مفهوم الأحرف السبعة؟ وهل هناك علاقة بين الأحرف السبعة والقراءات السبع؟

لقد قيل في إجابة السؤال الأول: الأحرف السبعة هي سبع لغات قرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم، وهي لغات (قريش، وهذيل، وكنانة، وثقيف، وهوازن، واليمن، وتميم).

أو هي: الحلال والحرام، والمحكم والمتشابه، والأمثال، والإنشاء والخبر.

أو هي: الأمر والنهي والطلب والدعاء والخبر والاستخبار والزجر.

أو هي: الوعد والوعيد والمطلق والمقيد والتفسير والإعراب والتأويل.

أو الاختلاف في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة، مثل (يحسَب) و(يحسِب) أو بتغيير المعنى دون الصورة مثل: «فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ» (البقرة:٣٧). بضبط (آدم) بالرفع والنصب وضبط (كلمات) بالرفع والنصب.

أو الاختلاف في الحروف مع تغيير المعنى مثل (تبلو- تتلو) و(ننشزها- ننشرها).

أو الاختلاف في الصورة دون المعنى مثل (الصراط- السراط)، أو يكون الاختلاف في الصورة والمعنى مثل (يتألى- يأتلي) أو يكون في التقديم والتأخير مثل (يَقتلون ويُقتلون) أو في الزيادة والنقصان مثل (وصى- أوصى).

أما الإجابة عن السؤال الثاني: هل الحروف السبعة هي القراءات السبع؟ فلقد تكفل بها ابن تيمية حيث يقول: «لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن (الأحرف السبعة) التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل بها ليس هي (قراءات القراء السبعة المشهورة)، بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبو بكر بن مجاهد، وكان على رأس المائة الثالثة ببغداد، فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والعراقين والشام؛ إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره والحديث والفقه من الأعمال الباطنة والظاهرة وسائر العلوم الدينية.

فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار ليكون ذلك موافقا لعدد

الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعنيين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم.

ولهذا قال من قال من أئمة القراء: لولا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة، وإمام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين.

وهذه الأحرف السبعة لا تناقض بينها ولا تضاد، بل هي متقاربة متفقة، لا تخالف بينها من حيث المعنى».

وقال ابن تيمية: «ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده، بل قد يكون معناها متفقًا أو متقاربًا... وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر، لكن كلا المعنيين حق، وهذا اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض». والقراءات بمنزلة آيات، وكلها حق واجب الإيمان به.

قال ابن تيمية: «فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمّنته من المعنى علمًا وعملاً، لا يجوز ترك وجه إحداهما لأجل الأخرى ظنًا أن ذلك تعارض، بل كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفَر به كله».

وعلى هذا فالقراءات السبع هي حرف من الحروف السبعة، والمصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة إذا كان الخط واحدًا واللفظ محتملاً كان ذلك أخصر في الرسم.

من فوائد القراءات القرآنية:

قال ابن الجزري: «من فوائد اختلاف القراءات وتنوعها ما في ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار وجمال الإيجاز؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل».

وقد لاحظ هذا المعنى الشيخ الطاهر بن عاشور، فبين في مقدمة تفسيره ما يؤكد هذه الفكرة: «... على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مرادًا لله تعالى ليقرأ القراء بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئًا عن آيتين فأكثر...».

فهذه إشارة من الشيخ الطاهر إلى أن تنوع القراءات يثري المعاني، فصورة الكلمة التي تحتمل قراءتين تجزئ عن أن تكرر الآية أو تقال بالقراءتين.

فهذا من جهة يضخّم حجم المصحف الشريف (هذا على الفرض لو كان المصحف يضم كل قراءة على حدة). ومن جهة أخرى سيجعل هناك تكرارًا للآية لا تظهر منه فائدة.

ومن الجلي أن لكل قراءة من القراءات القرآنية معنًى ملائمًا للسياق الذي ترد فيه، وهي آية من آيات الإعجاز في كتاب الله عز وجل، فاختلاف القراءات ينوّع المعنى ويكثرها، كما قال الطاهر ابن عاشور ومن ثم يكشف إعجاز النص القرآني.

ولعلنا نلاحظ أن الرسم المصحفي يُعدّ لونًا من ألوان الإعجاز الذي وفق الله تبارك وتعالى القائمين به من زمن عثمان رضي الله عنه؛ لأن الرسم يقبل وجوه القراءات المتواترة ثم خصّت بعض المصاحف برسم، وبعض آخر برسم آخر. إذًا الاختلاف في الرسم أو في القراءة هو اختلاف تنوُّع يثري المعاني ويكثرها ويوضح بلاغة الذكر الحكيم.

قال ابن الجزري: «ثم إن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف جرّدوها من النقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين».

وقد اشترط العلماء لقبول القراءة أن تتوافر فيها الشروط الآتية:

أن توافق رسم المصحف الشريف.

أن تكون صحيحة السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

أن يكون لها وجه من وجوه الإعراب.

وهذه الشروط وُجدت في القراءات العشر المشهورة، وهي لهؤلاء الأئمة القراءة رحمهم الله تعالى:

١- نافع بن عبد الرحمن المدني. توفي ١٦٩هـ، وروى عنه قالون عيسى بن مينا (ت ٢٢٠هـ) وورش المصري، عثمان بن سعيد (ت ١٩٧هـ).

٢- عبد الله بن كثير المكي (ت ١٢٠هـ) وروى عنه أبو الحسن البزي (٢٥٠هـ)، وقنبل، وأبو عمر محمد بن عبد الرحمن (٢٩١هـ).

٣- أبو عمرو بن العلاء البصري مقرئ أهل البصرة (ت ١٥٤هـ) وروى عنه حفص الدوري (٢٤٦هـ). وأبو شعيب السوسي (٢٦١هـ).

٤- عبد الله بن عامر الشامي إمام أهل الشام (ت ١١٨هـ) وروى عنه هشام بن عمار الدمشقي (٢٤٥هـ). وابن ذكوان (٢٤٢هـ).

٥- عاصم بن أبي النجود مقرئ أهل الكوفة (١٢٧هـ) وروى عنه شعبة بن عياش (١٩٣هـ)، وحفص بن سليمان الأسدي (١٨٠هـ).

٦- حمزة بن حبيب الزيات، بالكوفة (١٥٦هـ) وروى عنه خلف بن هشام البزار (٢٢٩ هـ) وخلاد الصيرفي (٢٢٠ هـ).

٧- الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة النحوي الكوفي (١٨٩ هـ) روى عنه أبو الحارث المروزي وحفص الدوري.

٨- أبو جعفر المدني (١٣٠ هـ) وروى عنه عيسى بن وردان (١٦٠ هـ) وسليمان بن جماز (١٧٠هـ).

٩- يعقوب الحضرمي البصري (٢٠٥ هـ) وروى عنه رويس (٢٣٨هـ) وروح بن عبد المؤمن (٢٣٥هـ).

١٠- خلف بن هشام البزار البغدادي (٢٢٩ هـ) وروى عنه إسحاق الوراق (٢٨٦ هـ) وإدريس الحداد (٢٩٢ هـ).

وسوف يقتصر البحث بمشيئة الله على المقارنة بين قراءتين فقط هما قراءة عاصم برواية حفص عنه وقراءة نافع برواية ورش عنه.

والمتأمل البلاغي للفروق بين القراءتين-أو الروايتين- يجد ظواهر جديرة بالوقوف عندها لمعرفة ما تضيفه القراءة للقراءة الأخرى من حيث المعنى.

وفيما يلي تجلية لهذه الظواهر من خلال النموذج الاتي:

أولاً: الفروق بين الروايتين من حيث العدد (الإفراد والجمع):

- رواية حفص: «وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ» (البقرة: ٨١). رواية ورش عن نافع: «خطيئاته».
- رواية حفص: «فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ» (البقرة: ١٨٤). رواية ورش عن نافع: «فدية طعام مساكين».
- رواية حفص: «وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ» (المائدة: ٦٧). رواية ورش عن نافع: «رسالاته».
- رواية حفص: «ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ» (الأنعام: ١٢٤). رواية ورش عن نافع: «رسالاته».
- رواية حفص: «قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي» (الأعراف: ١٤٤). رواية ورش عن نافع: «برسالتي».
- رواية حفص: «وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ» (الأعراف: ١٧٢). رواية ورش عن نافع: «ذرياتهم».
- رواية حفص: «إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ» (التوبة: ١٠٣). رواية ورش عن نافع: «صلواتك».
- رواية حفص: «حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ» (يونس: ٣٣). رواية ورش عن نافع: «كلمات».
- رواية حفص: «أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ» (هود: ٨٧). رواية ورش عن نافع: «أصلواتك».
- رواية حفص: «فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ» (يوسف: ١٠). رواية ورش عن نافع: «غيابات».
- رواية حفص: «لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞ» (سبأ: ١٥). رواية ورش عن نافع: «مساكنهم».
- رواية حفص: «أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُ» (فاطر: ٤٠). رواية ورش عن نافع: «بينات».
- رواية حفص: «أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ» (يس: ٤١). رواية ورش عن نافع: «ذرياتهم».
- رواية حفص: «وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ» (غافر: ٦). رواية ورش عن نافع: «كلمات».
- رواية حفص: «إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ» (الشورى: ٣٣). رواية ورش عن نافع: «الرياح».
- رواية حفص: «أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ» (الطور: ٢١). رواية ورش عن نافع: «ذرياتهم».
- رواية حفص: «كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ» (المرسلات: ٣٣). رواية ورش عن نافع: «جمالات».

والحمد لله رب العالمين.

أهمية الأخلاق في الإسلام

إعداد م/محمد ياسين بدر حسين النجار

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ) (آل عمران ١٠٢).

وبعد: فمن تأمل في نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة يجد أنها تركز على علاقة المسلم بخالقه سبحانه وتعالى (تقوى الله)، وعلى علاقة المسلم بالخلق (حُسن الخُلق).

قال الله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) النساء: ٣٦.

فأمر الله في أول الآية بحسن علاقة العبد بخالقه، ثم أمر سبحانه بحسن علاقة العبد بالمخلوقين بدءًا من الوالدين وانتهاء بملك اليمين.

وعن أبي ذَرٍّ جُنْدُب بْن جُنَادةَ، وأبي عبْدالرَّحْمن مُعاذ بْن جبلٍ رضيَ الله عنهما، عنْ رسولِ الله صَلى اللهِ عليه وسلم، قَالَ: (اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ) رواهُ التِّرْمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الحديث بحسن علاقة العبد بربه (اتق الله حيثما كنت)... ثم ختم حديثه صلى الله عليه وسلم بأمره بحسن علاقة العبد بالناس (وخالق الناس بخلق حسن).

فالأخلاقيات والمعاملات والسلوكيات قد احتلت مساحة كبيرة في ديننا؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق" رواه أحمد.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن من أحبّكم إليَّ، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا، وإنَّ أبغضكم إليَّ، وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون والمتشدِّقون والمتفيهقون"، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: "المتكبِّرون" رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

بل هناك علاقة وثيقة بين أركان الإسلام والأخلاق....

- فأما عن الصلاة... فقال جل جلاله: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ) العنكبوت ٤٥.

- وأما عن الزكاة... فيقول سبحانه وتعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا) التوبة ١٠٣.

- وأما عن الصيام... فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "مَن لم يَدَعْ قولَ الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة أن يَدَعَ طعامه وشرابه"؛ رواه البخاري.

- وأما عن الحج... فقال جل جلاله: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) البقرة: ١٩٧.

وأيضًا هناك علاقة قوية بين الإيمان والأخلاق...

-عن أبي شُريح الخُزاعيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ كانَ يُؤمنُ بالله واليَوْم الآخر فلْيُحْسنْ إلى جاره، ومَنْ كانَ يُؤْمنُ بالله واليومِ الآخر فلْيُكْرمْ ضَيْفَهُ، ومَنْ كانَ يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فلْيَقُلْ خيْرًا أوْ ليَسْكُتْ" رواه مسلم بهذا اللفظ، وروى البخاري بعضه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "والله لا يُؤْمنُ، والله لا يُؤْمنُ، والله لا يُؤْمنُ، قيلَ: مَنْ يا رسول الله؟ قالَ: الَّذي لا يأمنُ جارُهُ بَوائقَهُ" مُتَّفقٌ عليه. وفي رواية لمسلم: "لا يَدْخُلُ الجنَّة مَنْ لا يأمَنُ جارُهُ بوائقَهُ".

ودائرة الأخلاق قد وسَّعها الله لتشمل جميع الخلق؛ فلا تُضيِّق ما وسعه الله..

- يقول سبحانه وتعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) البقرة: ٨٣.

- ويقول صلى الله عليه وسلم "... وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ" رواهُ التِّرْمذيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ.

كل ما سبق مقدمة ومدخل للكلام عن أخلاق الإسلام... وإن شاء الله تعالى سنتكلم في كل مقال قادم عن خُلق من أخلاق الإسلام... فانتظرونا.

رزقنا الله وإياكم مكارم الأخلاق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفتاوى

من فتاوى الأزهر

صلاة الجمعة خلف المذياع غير جائزة

المفتي: حسنين محمد مخلوف.

س: يوجد بالناحية جامع بدون إمام ولا مقرئ.فهل يجوز سماع القرآن والخطبة من جهاز الراديو وتكون الصلاة بعد الخطبة؟

الجواب: إنه ورد فى الحديث كما رواه البخارى، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (صلوا كما رأيتمونى أصلى) ولم يصل عليه السلام الجمعة إلا فى جماعة وكان يخطب خطبتين يجلس بينهما كما رواه البخارى ومسلم ولذا انعقد الإجماع على أنها لا تصح إلا بجماعة يؤمهم أحدهم كما ذكره الإمام النووى فى المجموع وقال ابن قدامة فى المغنى إن الخطبة شرط فى الجمعة لا تصح بدونها وانعقد إجماع الأئمة الأربعة على ذلك وعلى هذا لا تصح صلاة الجمعة فى هذه القرية المسؤول عنها بدون إمام ولا خطبة ولا يكفى فى ذلك سماع الخطبة وحركات الإمام من المذياع والله أعلم.

المريض الذى يخشى من استعمال الماء فى إزالة الجنابة

المفتي: حسن مأمون.

س: شاب محافظ على الصلاة وكان إذا احتلم غسل المكان الملوث فى جسمه أو ثيابه فقط ولم يكن يغتسل كما هو المقرر شرعًا لأنه مريض وقد يسبب له الاستحمام بعض المتاعب وخاصة فى الشتاء وقد يتكرر عذره فى أيام متتالية فتعقد لديه الأمور ولا يمكن الاستحمام والوضوء لا يؤلمه وطلب الحكم الشرعى فى حالته هذه؟

الجواب: ان المنصوص عليه شرعًا أن المريض الذى يخشى اذا استعمل الماء فى ازالة الحدث الأكبر وهو الجنابة أن يشتد مرضه أو يمتد بغلبة الظن أو قول طبيب حاذق مسلم غير ظاهر الغش يرخص له التيمم ولا فرق بين ان يشتد مرضه من تحركه أثناء الغسل كالمبطون مثلا أو من استعمال الماء كالمصاب بالجدرى ونحوه.

وكذلك اذا خاف الجنب إن اغتسل أن يقتله البرد أو يمرضه يتيمم سواء كان خارج المصر أو فيه بشرط أن لا يقدر على تسخين الماء ولا يجد ثوبًا يتدفأ فيه ولا مكانًا يأويه كما أفاده فى البدائع وشرح الجامع الصغير لقاضيخان، فصار الأصل أنه متى قدر على الاغتسال بوجه من الوجوه لا يباح له التيمم إجماعًا.

والظاهر من كلام السائل أنه ليس لديه سبب من الأسباب التى تبيح له ان ينتقل من التطهر بالماء إلى التيمم بالتراب حسب الشروط التى أوضحها الفقهاء فى النصوص السابقة والواجب عليه ان يغتسل من الجنابة بالماء صيفًا وشتاء وان استطاع وإلا توصل إلى استعماله بتسخينه ووسائل ذلك ميسرة ولا مشقة فيها ولا عناء والله الهادى إلى سواء السبيل والله أعلم.

غسل الشعر عند التطهر من الجنابة

المفتي: أحمد هريدى.

س: من السيد / نائب مأمور بطلبه المتضمن أن المرأة المتحضرة الآن تحتفظ بشعرها بالصورة التى أعدها الحلاق، ومن هذه الصورة ما يستمر شهورًا وقد تمتد إلى سنة دون أن يمسه الماء لما تتكلفه هذه العملية من المال.

وقد تتكرر عملية الاتصال الجنسى كثيرًا لا سيما فى أول عهدها بالزواج.

وطلب السائل بيان ما إذا كان من الجائز شرعا أن تتم الطهارة من الجنابة مع احتفاظ المرأة بشعرها على الصورة السابق إيضاحها مع أن الماء قد لا يصل إلى بشرة الرأس

الجواب: اتفق الأئمة الأربعة على وجوب تعميم الجسد كله بالماء عند التطهر من الجنابة كما اتفقوا على وجوب تخليل الشعر اذا كان خفيفًا حتى يصل الماء إلى ما تحته من الجلد.

أما إذا كان الشعر غزيرًا.

فإن المالكية قالوا يجب أيضًا تخليل الشعر وتحريكه حتى يصل الماء إلى ظاهر الجلد.

وقال الأئمة الثلاثة. إن الواجب هو أن يدخل الماء إلى باطن الشعر فيجب غسل ظاهرة ويحرك كى يصل الماء إلى بطنه.

أما الوصول إلى البشرة الجلد فإنه لا يجب.

أما الشعر المضفور بالنسبة للمرأة.

فالحنفية قالوا. انه لا يجب نقضه.

وانما الواجب أن يصل الماء جذور الشعر. بل قالوا يجب عليها إزالة الطيب ولو كانت عروسًا.

ووافقهم فى ذلك الشافعية والحنابلة.

وقال المالكية يجب على المرأة عند الغسل جمع الشعر المضفور وتحريكه ليعمه الماء.

وطبقًا لما ذكر فانه يجب على المرأة عند الغسل من الجنابة إيصال الماء إلى باطن الشعر إن كان كثيفًا.

وتخليله ليصل الماء إلى البشرة إن كان خفيفًا كما يجب عليها إزالة ما على الشعر من الطيب مما يمنع من وصول الماء إلى باطنه ولو عروسًا ولا يمنع من هذا الوجوب أن تكون المرأة قد صففت شعرها على أى وجه كان وأنفقت فى ذلك مالًا قليلًا أو كثيرًا. والله أعلم.

انفلات ريح مستمر

المفتي: حسن مأمون.

س: مريض ومن عوارض مرضه كثرة الغازات والأرياح التى تخرج منه بحالة تكاد تكون مستمرة لقصر المدة بين المرة والأخرى الأمر الذى يسبب له كثيرًا من المتاعب فى الوضوء والصلاة فيضطر إلى إعادة الوضوء ثانية وثالثة أو مرات كثيرة وعندما تعاوده هذه الحالة فى الصلاة يخرج منها ويتوضأ. فما حكم الشريعة فى هذه الحالة وهل من رأى يخلصه من هذه المتاعب؟

الجواب: إن المنصوص عليه شرعًا فى مذهب الحنفية أن من عنده انفلات ريح مستمر (كحالة السائل) إذا أراد الصلاة يتوضأ لوقت كل صلاة ويصلى بهذا الوضوء فى الوقت ما شاء من الفرائض والنوافل، ويبطل هذا الوضوء بخروج الوقت الذى توضأ له، فإذا أراد من عنده هذا العذر أن يصلى الظهر مثلًا فى وقته وتوضأ صلى بهذا الوضوء الظهر وما شاء من الفرائض الفائتة وواجبات وسنن، ويستمر هذا الوضوء قائما حتى يخرج وقت الظهر وحينئذ يبطل ويجب عليه إذا أراد صلاة العصر أن يتوضأ لها من جديد ويصلى به ما شاء أيضا من الفرائض والنوافل فى وقت العصر وهكذا وعند الشافعية يتوضأ من عنده هذا العذر لكل صلاة فرض ويصلى به مع هذا الفرض ما شاء من النوافل تبعًا لذلك الفرض. ولا يصلى به ما فاته من الفرائض بل يجب عليه عند الإمام الشافعى رضى الله عنه أن يتوضأ لصلاة كل فرض فاته. والله أعلم.

عبادة الحائض والنفساء

المفتي: جاد الحق على جاد الحق.

س: بالطلب المقدم من السيد / أمين عام مساعد الشؤون الإسلامية الذى يطلب فيه بيان الحكم الشرعى للسؤال الوارد من ش ا ع الذى تقول فيه- تجىء أيام على الفتاة المسلمة فى شهر رمضان الكريم لا تستطيع الصيام أو

الصلاة وتنقطع عنهما فى هذا الشهر.

فهل يجب عليها الإفطار فى تلك الأيام من أول النهار وهل يجوز لها إذا لم تصل وتصوم فى تلك الأيـام أن تذكر الله مثل التهليل والتحميد والتكبير والتسبيح ومتى يجب عليها أداء تلك الأيام التى أفطرتها؟

الجواب: يقول الله تعالى فى كتابه الكريم «فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» البقرة ١٨٤، ويستفاد من هذه الآية أن من كان به عذر كالمريض والمسافر ولم يستطع الصيام يفطر ويقضى بدل الأيام التى أفطر فيها بعد زوال هذا العذر على تفصيل بينته السنة الشريفة.

والحيض والنفاس من الأعذار الشرعية التى لايصح معها الصوم ولا الصلاة.

وقد روى عن معاذة قالت- سألت عائشة فقلت- ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة قالت- كان يصيبنا ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة. رواه الجماعة. (نيل الأوطار للشوكانى ج ١ ص ٢٨٠). فإذا نزلت بالمرأة المسلمة الحيض أو النفاس وهى تصوم رمضان أو غيره وجب عليها الإفطار من وقت نزول الدم، ولا ثواب لها إذا صامت مع الحيض أو النفاس.

أما الصلاة فإذا كان عذرها الحيض أو النفاس فقد سقطت عنها فى مدة كل منهما، ولا تقضى للحديث السابق تخفيفا عليها لتكرار الحيض كل شهر، والنفاس يتكرر أيضا بتكرر الحمل والولادة.

وفقط يجب قضاء الصيام كما مر. ولا بأس بذكر الله من تهليل وتحميد وتكبير وتسبيح مع هذه الأعذار، بل يباح لها فعل ذلك فى أى وقت من ليل أو نهار ويحرم مس المصحف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

عبادة المستحاضة

المفتي: جاد الحق على جاد الحق.

س وقد جاء به أن زوجتى عادتها الشهرية عشرة أيام، وبعد انقضاء هذه المدة طهرت وعادت للصلاة، ثم بعد ثلاثة أيام من الطهر عاد الدم ثانية بنفس عادة الدورة الشهرية فهل هـذا حيض، لا تصلى فيه ولا تمس المصحف ولا تصوم، أو أن هذا شىء آخر؟

الجواب: إن النساء أقسام أربعة- طاهر، وحائض، ومستحاضة، وذات الدم الفاسد.

فالطاهر ذات النقاء من الدم، والحائض من ترى دم الحيض فى زمنه وبشروطه.

والمستحاضة من ترى الدم بعد الحيض على صفة لا يكون حيضا.

وذات الفساد من الدم من يبتديها دم لا يكون حيضا، كمن نزل منها الدم قبل بلوغ سن التاسعة من العمر، والتميز بين دم الحيض ودم الاستحاضة إنما هو يجارى عادة المرأة فى زمن رؤيتها الدم ومدته، ثم بعلامات مميزة فى ذات الدم.

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم دم الحيض فى حديث فاطمة بنت حبيش الذى روته عائشة رضى الله عنها حيث قال لها (دم الحيض أسود وأن له رائحة فإذا كان ذلك فدعى الصلاة، وإذا كان الآخر فاغتسلى وصلى) وروى الدارقطنى والبيهقى والطبرانى من حديث أبى أمامة مرفوعا (دم الحيض أسود خاثر تعلوه حمرة، ودم الاستحاضة أصفر رقيق) وفى رواية (دم الحيض لا يكون إلا أسود غليظا تعلوه حمرة ودم الستحاضة دم رقيق تعلوه صفرة) (المجموع للنواوى الشافعى والتلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير للحافظ ابن حجر العسقلانى على فتح العزيز شرح الوجيز ج ٢ فى باب الحيض) وروى النسائى وأبو داود عن عائشة (إذا كان دم الحيض فإنه دم أسود يعرف فأمسكى عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئي فإنما هو عرق) وقال ابن عباس (أما من رأت الدم البحرانى فإنها تدع الصلاة) وقال (والله لن ترى الدم الذى هو الدم بعد أيام حيضها إلا كغسالة ماء اللحم) (المغنى لابن قدامة فى كتاب الحيض).

وقد فسر الإمام النووى لون دم الحيض بأنه الأسود وهو ما اشتدت حمرته فصار يميل إلى السواد، والقانىء فى آخره همزة، هو الذى اشتدت حمرته.

وأنه ليس المراد بالأسود فى الحديث الأسود الحالك بل المراد ما تعلوه حمرة مجسدة كأنها سواد بسبب تراكم الحمرة لما كان ذلك كان ما ينزل من زوجة السائل بعد طهرها من حيضها على جارى عادتها استحاضة وليس حيضًا، لأنه لا يتوالى حيضان بل لابد أن يفصل بينهما طهر تام، وأقله خمسة عشر يومًا فى فقه الأئمة أبى حنيفة ومالك والشافعى.

وثلاثة عشر يومًا فى فقه الإمام أحمد بن حنبل.

وقد اتفق فقهاء المذاهب على أن حكم المستحاضة أن تتوضأ لكل صلاة وتصلى بهذا الوضوء الفرض الذى توضأت له فى وقته وما شاءت من النوافل وأجاز لها بعض ذات الوقت مس المصحف وحمله وسجود التلاوة والشكر.

وعليها الصلاة والصوم وغيرها من العبادات المفروضة على الطاهر.

ونقل ابن جرير الإجماع على أن لها قراءة القرآن. وروى إبراهيم النخعى أنها لا تمس المصحف وهو أيضا فقه مذهب الإمام أبى حنيفة، وفيه أيضا أنها لا تمس ما فيه آية تامة من القرآن.

هذا وينتقض وضوء المستحاضة بخروج الوقت الذى توضأت لصلاته، فإذا توضأت لصلاة الظهر فى وقته فلا تصلى بها الوضوء العصر.

بل عليها أن تتوضأ من جديد متى حان وقت العصر وهذا غير نواقض الوضوء التى ينتقض فيها بطروئها.

وأميل إلى الأخذ بقول القائلين بأنها متى توضأت لوقت الصلاة جاز لها فعل كل عبادة جائزة للمتوضىء من قراءة القرآن ومس المصحف وحمله وصلاة النافلة وسجدة التلاوة وسجدة الشكر. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الشك فى الوضوء والصلاة بعد تمامها

المفتي: حسن مأمون.

س: من الآنسة ف م ع (عن طريق الإذاعة المصرية) إن السائلة المذكورة يلازمها الشك كثيرا منذ ثلاث سنوات فى وضوئها أثناء الوضوء وبعده فى الصلاة وخارجها مما يترتب عليه إعادة الوضوء عدة مرات كما أنها تشك أيضا فى صلاتها من ناحية نقصها أو زيادتها وذلك بعد تمامها.

وطلبت معرفة الحكم الشرعى فيما يجب عليها أن تفعله إزاء هذا الشك حتى تكون صلاتها صحيحة؟

الجواب: إن المفهوم من السؤال أن الشك يحدث للسائلة فى الطهارة بعد إتمام الوضوء وفى الصلاة بعد إتمامها أيضا.

فهى إذن يطرأ عليها الشك بعد تيقنها من الطهارة وبعد تيقنها من إتمام الصلاة- كما يفهم من السؤال أيضا أن هذا الشك أصبح عادة لها- وحكم الوضوء شرعًا فى هذه الحالة أنه صحيح وتعتبر متطهرة فيجب عليها عدم الالتفات إلى هذا الشك، لأن الشك لا يرفع اليقين شرعًا، وكذلك حكم الشك فى الصلاة مادام يحدث لها بعد تمامها إذا الشك فى هذه الحالة غير معتبر كما ذكر. وهذا كله إذا لم تتيقن من وجود الحدث أو لم تتيقن من ترك بعض أركان الصلاة أو ارتكاب ما يبطلها.

وإننا ننصح السائلة بأن تتوضأ مرة واحدة وتصلى ولا تلتفت لهذا الشك مطلقا مهما كان أثره فى نفسها ولا تعيد الوضوء ولا الصلاة وبذلك تكون أدت الواجب عليها وأبرأت ذمتها أمام الله لأن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها- ولا نزاع فى أنها إذا اتبعت هذا تغلبت على هذا الشك فى وقت قريب جدًا وشفيت منه تمامًا ومن هذا يعلم الجواب عنة السؤال والله سبحانه وتعالى أعلم.

الحلقة 2

زواج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا بد للعرس من وليمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين.

أما بعد: فما زلنا نشرف بذكر أحداث السنة الثانية من هجرة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، وتحديدًا مع هذا الحدث الجليل العظيم المنزلة: من أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهو زواج فاطمة من علي رضي الله عنهما، وقد تحدثنا قبل ذلك في الخطبة، والمهر، وما كان من تيسير فيهما، وتوقفنا عند العرس والوليمة: فماذا حدث؟

إعداد **د. سيد عبد العال**

عَنْ بريدة رضي الله عنه قال: " قَالَ نَفَرٌ مِنَ الأنصار لعليٍّ رضيَ الله عنهُ: عِندكَ فاطمةُ. فأتى رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فسلَّم عليه، فقالَ: "ما حاجةُ ابْنِ أبي طالب"؟ قَالَ: يا رَسُولَ الله، فاطمةُ بنْتُ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم. قالَ: "مَرْحَبًا وأهْلًا"، لَمْ يزدْهُ عليْهَا، فخرجَ عليٌّ على أولئكَ الرَّهْطِ مِنَ الأَنْصارِ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ؛ فَقَالُوا مَا وَراءَكَ؟ قَالَ: مَا أَدْرِي، وَلَكِنَّهُ قَالَ لِي مَرْحَبًا وَأَهْلًا. قَالُوا: يَكْفِيكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَاهُمَا، أَعْطَاكَ الأَهْلَ، وَأَعْطَاكَ المَرْحَبَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَمَا زَوَّجَهُ قَالَ: " يَا

عَليٍّ، إِنَّهُ لاَ بُدَّ لِلْعُرْسِ مِنَ الوَلِيمَةِ". فَقَالَ سَعْدٌ: عِنْدِي كَبْشٌ، وَجَمَعَ لَهُ رَهْطٌ مِنَ الأَنْصارِ آصُعًا مِنْ ذُرَة، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ البِنَاءِ قَالَ: " لاَ تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَلْقَانِي ". فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّهُ أَفْرَغَهُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: " اللهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا، وَبَارِكْ عَلَيْهِمَا، وَبَارِكْ فِي نَسْلِهِمَا " أخرجه أحمد (٢٣٠٣٥)، والطحاوي (٥٩٤٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع (٤١٨٤).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أصبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغنم يوم بدر وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارفًا أخرى فأنختهما يومًا بباب رجل من الأنصار، وأنا أريد أن أحمل عليهما إذخرًا لأبيعه ومعي صائغ من بني قينقاع، ليرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين - فأستعين به على وليمة فاطمة.... البخاري (٢٣٧٥)، ومسلم (١٩٧٩) (والشارف: النَّاقَةُ المُسنَّة، إذخر: حشيش معروف طيب الرائحة).

وهذه الأحاديث فيها فوائد:

الأولى: وليمة العرس:

لقوله "لابد للعرس من وليمة".

والوليمة في اللغة مشتقَّة من الوَلْم، وهو: القيد والجمع؛ لأنَّ الزوجين يجتمعان، ويُقال: "أَوْلَمَ فلانٌ" إذا اجتمع خلقه وعقله، ويُقال أيضًا: "أَوْلَمَ فلان" إذا عمل وليمةً.

وأصل الوليمة تمام الشيء واجتماعُه، ومنه التأَمَ القوم؛ يعني: اجتمعوا، وهي في الحقيقة جامعةٌ للأمرين، ففيها اجتماعٌ وفيها إتمامٌ، ولكنَّها نقلت بالعُرف والاصطلاح إلى نفس الطعام الذي يُصنَع في أيَّام العُرس؛ لاجتماع الرجل والمرأة بسبب الزواج.

والغالبُ عند أهل اللغة وفي عُرف الفقهاء عدم إطلاق الوليمة إلا على طَعام العُرس.

الثانية: العُرس: هو النِّكاح، وقيل: "العُرْس" بضمِّ العين هو الزفاف، وهو إهداء العَرُوس إلى زوجها، و"العِرس" بالكسر: يُطلَق على الزوج أو الزوجة، والعَروس يُطلَق على الذَّكر والأنثى أيَّام الدُّخول.

الثالثة: حكم وليمة العرس

استدل جماعة من العلماء بقوله صلى الله عليه وسلم "لابد للعرس من وليمة" على أن وليمة العرس واجبة.

وهناك أدلة أخرى؛ منها أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أَمَر بها عبدالرحمن بن عوف وقال له: "أَوْلِمْ" والأمرُ للوجوب ما لم يُوجَدْ صارف يصرفُه إلى النَّدب.

ومنها أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أَوْلَمَ على زوجاته في السفر والحضر وفي السَّعة والضِّيق، فلو كانت محمولةً على الاستحباب لتَرَكَها الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم في السفر أو الضِّيق تعليمًا لأمَّته، ولكنَّه لم يفعلْ؛ فدلَّ ذلك على وجوبها.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أنَّ وليمة العُرس مستحبَّة، واستدلوا على ذلك بسُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام القوليَّة والفعليَّة. منها ما سبق من أدلة القول الأول ولكن أصحاب هذا القول حملوها على الاستحباب.

الرابعة: أن الوليمة مشروعةٌ في حقِّ الزوج، والأصل أنَّه هو الذي يصنَعُها؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال لعلي: "لابد للعرس من وليمة".

الخامسة: قوله " قال سعد عندي كبش..." فيه استحباب المواساة في مثل هذه المناسبة:

فيستحبُّ لأصدقاء المتزوِّج أنْ يُساعدوه في وليمته؛ لهذا الحديث ولما رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: "تزوَّج

رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فدخَل بأهله فصنعت أمي أمُّ سليم حيسًا فجعلَتْه في تورٍ فقالت: يا أنس، اذهَبْ بهذا إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقُلْ: بعَثَتْ بهذا إليك أمي وهي تُقرئك السلام وتقول: إنَّ هذا لك منَّا قليلٌ يا رسول الله". قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح الحديث: "فيه أنَّه يستحبُّ لأصدقاء المتزوِّج أنْ يبعثوا إليه بطعامٍ يُساعِدونه به على وليمته".

وما أجمل أنْ يتعاون المسلمون فيما بينهم، ويعينَ بعضهم بعضًا فيما ينوبُهم من الأمور والمناسبات، وخُصوصًا عند الزواج!

ويلاحظ: أن هذا موجود في زماننا، ولكنْ غالب الناس يجعله دينًا وينتظر مثله، والأحسن ألا يكون كذلك، وإنما يكون هبة خالصة-لا دينًا- كما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم.

الفائدة السادسة: قوله " اللهُمَّ بَارِكْ فيهِمَا، وَبَارِكْ عَلَيْهِمَا"، فيه الدعاء بالبركة للعروسين:

وقد كان لذلك آثار واضحة في مسيرة الحياة ومنها قيام فاطمة بالخدمة في البيت وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج إمام من أئمة الدين وسيد من سادات أهل الجنة ولمَّا تعبت يومًا طلبت خادمًا فجاءها الجواب شافيًا كافيًا من أب رحيم، ورسولٍ كريم، ومعلم ناصحٍ، ومبلغٍ صادقٍ فما الخبَرُ إذا؟!

عن عَليّ رضي الله عنه أنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَى، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ عَائشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهَ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لأَقُومَ، فَقَالَ: "عَلَى مَكَانكُمَا". فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْه عَلَى صَدْري، وَقَالَ: "أَلا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَاني، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادمٍ" صحيح البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧).

وفيه منقبة لعلي رضي الله عنه؛ ألا وهي دخول النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين فاطمة رضي الله عنهما في فراشهما وأمره لعلي بلزوم مكانه بعد أن هم بالقيام وهذا يدل على أن لأبي الحسن رضي الله عنه منزلة عظيمة عند المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وفيه أن الذكر يقوّي البدن، ويُعين على قضاء الحوائج.

وفيه أن فاطمة رضي الله عنها عاشت رضوان الله عليها في بيتها حياة بسيطة متواضعة، فهي تطحن وتعجن خبزها بيديها مع إدارة كافة شؤون بيتها الأخرى، إضافةً إلى حقوق زوجها عليها.

وفيه أيضًا بيان حسن معاملة ومحبة السيدة عائشة رضي الله عنها للسيدة فاطمة رضي الله عنها، وليس الأمر كما يظن البعض أن بينهما عداوة.

السابعة: قوله صلى الله عليه وسلم: "وبَارِكْ في نَسْلِهِمَا":

يؤخذ منه الدعاء للأولاد، وقد ظهر أثر ذلك في أَوْلَادهمَا رَضيَ الله عَنْهُمَا؛ حيث وَلَدَتْ فَاطِمَةُ رَضيَ الله عَنْهَا لعَليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الحَسَنَ، وَالحُسَيْنَ، وَمُحَسِّنًا، وَأُمَّ كُلْثُومٍ، وَزَيْنَبَ رَضيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعينَ.

وهذا ما نذكره في تاريخ مولد الحسن والحسين بإذن الله تعالى.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

نهاية العام وقفة محاسبة

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده؛ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الليالي والأيام هي رأس مال الإنسان في هذه الحياة ربحها الجنة وخسرانها النار، السَّنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمارها. فمن كانت أنفاسه في طاعة الله، فثمرة شجرته طيبة مباركة، ومن كانت أنفاسه في معصيته فثمرته مُرّة وحنظل.

وإن العبد في هدم لعمره منذ خرج من بطن أمه، قال الحسن رحمه الله: أيها الإنسان إنما أنت أيام، فكلما ذهب يومك ذهب بعضك"، اليوم منه يهدم الشهر، والشهر يهدم السنة، والسنة تهدم العمر، وكل ساعة تمضي من العبد فهي مُدْنِيَة له من الأجل.

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع

قال ابن القيم رحمه الله: "إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها". فعمر الإنسان هو موسم الزرع في هذه الدنيا، والحصاد هناك في الآخرة، فلا يَحْسُن بالعبد أن يُضيِّع أوقاته، وينفق رأس ماله فيما لا فائدة فيه.

ومَن جَهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حينٌ يعرف فيه قدره ونفاسته وقيمة العمل الصالح فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته حيث لا ينفع الندم:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار، حيث يستدبر الدنيا ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو منح مهلته من الزمن، وأخر إلى أجل قريب ليصلح ما أفسده ويتدارك ما فات.

الموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوفَّى كل نفس ما عملت، وتُجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ، هنالك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، ليبدأوا من جديد عملاً صالحًا. ولكن: هيهات هيهات لما يطلبون فقد انتهى زمن العمل وجاء زمن الجزاء: « وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ » (الزمر: ٧٠).

قال الله تعالى: « حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ » (المؤمنون: ٩٩- ١٠٠).

فاستثمر وقتك -أخي- في طاعة الله، قبل أن تتمنى الرجعة لتعمل، والرجعة مستحيلة، والعود بعيد. قال الله تعالى: « وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ

فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ » (المنافقون: ١٠- ١١).

وكما أنهم يطلبون الرجعة عند حضور الموت ليُصلحوا أعمالهم فإنهم يطلبون ذلك يوم القيامة، ومعلوم أنهم لا يُجابون إلى ذلك، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » (السجدة: ١٢).

وقوله تعالى: « وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ » (الأنعام: ٢٧- ٢٨).

وقوله تعالى: «وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ » (الشورى: ٤٤).

وقوله تعالى: «قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ » (غافر: ١١).

وقوله تعالى: « وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ » (فاطر: ٣٧).

وقوله تعالى: « وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ » (سبأ: ٥١- ٥٣). وقد تضمنت هذه الآيات التي ذكرنا، وأمثالها في القرآن أنهم يسألون الرجعة فلا يُجابون عند حضور الموت، ويوم النشور ووقت عرضهم على الله تعالى، ووقت عرضهم على النار.

وإذا كان الأمر كذلك -أيها الإخوة-، فعلى صاحب البصر النافذ أن يتزوّد من نفسه لنفسه: قال الله تعالى: «وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا » (المزمل: ٢٠)، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، ومن صحته لمرضه، فما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا سوى الجنة أو النار.

وأما الدنيا فحياتها عناء، ونعيمها ابتلاء، وجديدها يبلى، ومُلكها يفنى، وُدّها ينقطع، وخيرها يُنتزع، المتعلقون بها على وَجَل إما في نعيم زائلة أو بلايا نازلة، أو منايا قاضية العمر قصير، والخطر المحدق كبير، والمرء بين حالين: حال قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، ومن أصلح ما بينه وبين ربه كفاه ما بينه وبين الناس، ومن صدق في سريرته حسنت علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، والمحاسبة الصادقة ما أورثت عملاً، فعليك -أخي الحبيب- أن تستدرك ما فات بما بقي، فتعيش ساعتك ويومك، ولا تشتغل بالندم والتحسر من غير عمل، واعلم أن من أصلح ما بقي غفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى وما بقي. والموت يأتي بغتة، فأعط كل لحظة حقها، وكل نفس قيمته.

قرأ الحسن رحمه الله قوله تعالى: «عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ» (ق: ١٧)، فقال: يا ابن آدم: بُسطت لك صحيفتك، ووُكل بك ملكان أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فصاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، فإذا مت طُويت صحيفتك، وجعلت في عنقك، فتخرج يوم القيامة، فيقال لك: « ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا » (الإسراء: ١٤)، ثم قال رحمه الله: عدل -والله- من جعلك حسيب نفسك.

واعلموا- إخواني- أن من حاسب نفسه

في الدنيا خفَّ في القيامة حسابه، وحسن في الآخرة منقلبه، ومن أهمل المحاسبة دامت حسرته وساء مصيره، وما كان شقاء الأشقياء إلا لأنهم كانوا لا يرجون حسابًا. قال الله تعالى: « إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا (٢٢) لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَآءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا (٢٩) فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا » (النبأ: ٢١- ٣٠).

فيا إخواني: ما دمنا جميعًا نوقن بأن الموت نهاية كل حي في هذه الدنيا، وأن بابه سيلجه كل أحد، وكأسه تتحساها كل نفس، وأنه خاتمة المطاف، ونهاية التطواف في عالم الدنيا؛ فإنه يجدر بنا -ونحن نودِّع في هذه الأيام عامًا هجريًا كاملاً، ونختتم سنة من أعمارنا- أن نقف وقفة حازمة مع نفوسنا، نذكرها بهذه الخاتمة، فالأنفاس معدودة، والموفَّق من يسعى لصلاح حاله، حيث يكون غده خيرًا من يومه، ويومه أفضل من أمسه، وعامه الجديد أفضل من عامه الماضي. فمن أصلح ما بقي غُفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى، وبما بقي، فالسعيد من وُفق لختام عامه بالتوبة الصادقة، بشروطها المعتبرة، وهي: الإقلاع عن الذنوب، والندم على فعلها، والعزم على عدم العودة إليها؛ لأن الأعمال بالخواتيم، والله عز وجل يقول: « وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ » (طه: ٨٢).

والكَيِّس مَن اعتبر بمَن ودَّعناهم إلى دار البرزخ من آباء وأمهات، وإخوان وأخوات، وجيران وأصدقاء، فهم الآن بين أطباق الثرى، وقد سرى فيهم البلى، ولا بد وبكل يقين سيهجم علينا الموت كذلك في أيٍ لحظة من ليل أو نهار، فهل يا ترى: سنُبشَّر بروح وريحان أم لا قدر الله سنقول: « رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا » (المنافقون: ١٠-١١). أو نقول: « رَبِّ ٱرْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » (المؤمنون: ٩٩- ١٠٠).

وهيهات هيهات: قال بلال بن سعد: "يقال لأحدنا: تريد أن تموت؟ فيقول: لا، فيقال له: لم؟ فيقول: حتى أتوب وأعمل صالحًا، فيقال له: اعمل، فيقول: سوف أعمل، فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل، فيُؤخر عمل الله تعالى ولا يؤخر عمل الدنيا".

فالواجب المبادرة إلى التوبة وترك التسويف، فإن تأخير التوبة هو- بحد ذاته- ذنب يستحق التوبة، كيف وإن المؤمن ليخشى أن يُحال بينه وبين التوبة، فتفوته فيندم حيث لا ينفع الندم! قال الله تعالى: « إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » (النساء: ١٧- ١٨).

قال الفضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ. فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون. قال الفضيل: أتعرف تفسيره تقول -إنا لله وإنا إليه راجعون- فمن عرف أنه لله عبد، وأنه إليه راجع؛ فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليُعدّ للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يُغفر لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي أُخذت بما مضى وما بقي.

اللهم إنّ نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

شهر الله المحرم بين الاتباع والابتداع

الحمد لله الذي جعل الأعمار مواسم، والزمن منازل، ولكل زمن من الأزمان وظائف، ولكل وظيفة فضيلة، ولكل فضيلة حكمة رشيدة وزيادة حميدة.

وشهر الله المحرم أحد الشهور الفضيلة؛ فهو آخر الأشهر الحرُم المتوالية، وفيه يعود غالب الحجيج إلى أوطانهم النائية، فحرَّم الله فيه القتل والظلم؛ لحرمة الحجيج، وقد قطعوا المفاوز، وفارقوا الأهل والذرية والمتاع.

إعداد **د. أحمد بن سليمان أيوب**

رئيس فرع بلبيس

فهو الشهر الحرام، وفيه يوم النجاة، وأهلك الله فيه الجناة، فصمنا عاشره حبًا واتباعًا لكليمه وقد نجَّاه، ولم نجعله عيدًا كما فعل من خالف الكليم وأغضب مولاه، ولا اتخذناه مأتمًا نلطم وجوهنا لموت الحسين فيه وما خذلناه، ولا سرنا بالمواكب العزائية زاعمين الحب لآل البيت، وآل البيت براء.

وإن الناس قد تنازعوا في شهر الله المحرم بين الاتباع والابتداع

فافترقت الأمة فرَقًا رغم تحذير الله تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (سورة آل عمران: ١٠٥) .

ومع تواتر آيات القرن الكريم بالأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، إلا أن الشيطان أعمل عمله، وأغوى أكثر الخلق؛ فاستدرجهم، وزيَّن لهم أعمالاً ظنُّوا أنهم بها يتقرَّبون إلى الله زعموا! ولكنهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله- يزدادون من الله بُعدًا، ومن نبيه صلى الله عليه وسلم بُغضًا، ومآلهم يوم القيامة أن يقول لكل من خالف طريقه: «ألا سحقًا ألا سحقًا».

فالناس في شهر المحرم على قسمين: أهل الاتباع، وأهل الابتداع، ولكل منهما عمل ووظيفة؛ فلنبدأ بذكر وظائف أهل الاتباع:

أهل الاتباع يُعظِّمون صيام شهر المحرم

فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصيام، بعد رمضان، شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة، بعد الفريضة، صلاة الليل» صحيح مسلم(١١٦٣).

وفي هذا الحديث تصريح بأن أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم.

أهل الاتباع يصومون يوم عاشوراء ويعرفون فضله

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما قدم المدينة، وجدهم يصومون يومًا، يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجَّى الله فيه موسى، وأغرق آل فرعون، فصام موسى شكرًا لله، فقال «أنا أولى بموسى منهم» فصامه وأمر بصيامه. صحيح البخاري (٣٣٩٧).

وعنه أيضًا، قال: «ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء، وهذا

الشهر يعني شهر رمضان» صحيح البخاري (٢٠٠٦).

وصيامه ليس بفرض؛ ففي حديث جابر ابن سمرة رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بصيام يوم عاشوراء، ويحثنا عليه، ويتعاهدنا عنده، فلما فُرض رمضان، لم يأمرنا، ولم ينهنا ولم يتعاهدنا عنده» صحيح مسلم (١١٢٨).

وفي حديث البخاري بسنده إلى حميد بن عبد الرحمن، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، يوم عاشوراء عام حجّ على المنبر يقول: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء، فليصم ومن شاء، فليفطر» صحيح البخاري (٢٠٠٣).

وقد حثّ النبي صلى الله عليه وسلم ورغّب في صيام عاشوراء وجعل من فضائله تكفير عام قبله؛ ففي حديث أبي قتادة الطويل في صحيح مسلم (١١٦٢) وفيه: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله».

قال ابن قدامة: «إذا ثبت هذا فإن عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم. وهذا قول سعيد بن المسيب، والحسن؛ لما روى ابن عباس، قال: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم يوم عاشوراء العاشر من المحرم». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. المغني (٣/١٧٨).

أهل الاتباع يحرصون في كل أعمالهم على مخالفة أهل الكتاب

فواعجبًا لأمة تميّزت عن سائر الأمم بشرع متين، وحكم رشيد، ووحي لا عوج فيه ولا تقصير، ثم تراهم يقلدون اليهود والنصارى ويلهثون خلفهم حتى لو دخلوا جحر ضب دخلوا خلفهم بلا عقل أو تفكير، فها هو نبينا صلى الله عليه وسلم يرسّخ قاعدة التميُّز عنهم في كل شيء؛ حتى في مخالفتنا لهم في أيام الصوم.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع»، قال: فلم يأت العام المقبل، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. صحيح مسلم (١١٣٤)

قال شيخ الإسلام والسنة لمن صامه أن يصوم تاسوعاء معه

قال في رواية الميموني وأبي الحارث: من أراد أن يصوم عاشوراء؛ فليصم التاسع والعاشر؛ إلا أن يشكل الشهر(فيصوم ثلاثة أيام) ابن سيرين يقول ذلك.

وقال في رواية الأثرم: أنا أذهب في عاشوراء أن يُصام يوم التاسع والعاشر. حديث ابن عباس: «صوموا التاسع والعاشر». شرح العمدة (٢/ ٥٨٠).

أهل الاتباع جعلوا شهر المحرم بداية للتاريخ الإسلامي

حساب السنين بتاريخ الهجرة سُنّة عُمرية، هدى الله عز وجل إليها أمير المؤمنين المحدَّث عمر بن الخطاب؛ فلقد اتفقوا على حدث الهجرة؛ لأنه الحدث الذي قامت به دولة الإسلام.

فاليوم في الإسلام يبدأ من غروب الشمس، والشهر يبدأ من ظهور الهلال، والسنة تبدأ من شهر الله المحرم، هذا هو تاريخ المسلمين، وهذا ما جرى عليه عملهم، وتعاملوا به في كتبهم ومكاتباتهم.

قال ابن كثير: اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة -وقيل: سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة- في الدولة العُمرية على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، رُفع إليه صكّ، أي حُجّة، لرجل على آخر، وفيه أنه يحل عليه في شعبان، فقال عمر: أي شعبان؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها، أو السنة الماضية، أو الآتية؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تأريخ يتعرفون

به حلول الديون، وغير ذلك، فقال قائل: أرِّخوا كتاريخ الفرس. فكره ذلك، وكانت الفرس يُؤرِّخون بملوكهم واحدًا بعد واحد. وقال قائل: أرخوا بتاريخ الروم. وكانوا يؤرخون بملك إسكندر بن فيليبس المقدوني، فكره ذلك. وقال آخرون: أرخوا بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال آخرون: بل بمبعثه. وقال آخرون: بل بهجرته. وقال آخرون: بل بوفاته عليه السلام. فمال عمر رضي الله عنه، إلى التأريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره واتفقوا معه على ذلك. البداية والنهاية (٤/ ٥١٠).

أهل الاتباع لا يخصون يوم عاشوراء بمزيد طعام ولا كسوة

قال شيخ الإسلام منكرًا بعض البدع المحدثة في هذا اليوم:

والصحيح أنه يستحب لمن صامه أن يصوم معه التاسع؛ لأن هذا آخر أمر النبي صلى الله عليه وسلم؛ لقوله: «لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع مع العاشر» كما جاء ذلك مفسَّرًا في بعض طرق الحديث، فهذا الذي سنَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما سائر الأمور: مثل اتخاذ طعام خارج عن العادة؛ إما حبوب وإما غير حبوب، أو في تجديد لباس، أو توسيع نفقة، أو اشتراء حوائج العام ذلك اليوم أو فعل عبادة مختصة. كصلاة مختصة به، أو قصد الذبح، أو ادخار لحوم الأضاحي ليطبخ بها الحبوب، أو الاكتحال، أو الاختضاب، أو الاغتسال، أو التصافح، أو التزاور، أو زيارة المساجد والمشاهد ونحو ذلك، فهذا من البدع المنكرة التي لم يسنَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون، ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين، لا مالك ولا الثوري ولا الليث بن سعد ولا أبو حنيفة ولا الأوزاعي ولا الشافعي ولا أحمد بن حنبل ولا إسحاق بن راهويه، ولا أمثال هؤلاء من أئمة المسلمين وعلماء المسلمين. مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣١١).

فأما المناوئون لأهل السنة والجماعة فقد ناقضوا أهل الاتباع وخالفوهم في كثير من الأعمال ومنها:

أهل الابتداع اتخذوا يوم عاشوراء مأتمًا وحزنًا

لقد غلت الشيعة في مقتل الحسين رضي الله عنه غلوًا مفرطًا فجعلوا يوم استشهاده رضي الله عنه العاشر من محرم مأتمًا وحزنًا ونياحة يكررونه في كل عام إلى يومنا هذا، ورتبوا على هذا الفعل الأجر والثواب، وقد روى الطوسي في أماليه بسنده عن الرضا عليه السَّلام أنه قال: من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة، يوم فرحه وسروره، وقرت بنا في الجنان عينه. أمالي الطوسي ص١٩٤.

وقد بوَّب المجلسي بابًا قال فيه: باب ثواب البكاء على مصيبته ومصائب سائر الأئمة وفيه أدب المأتم يوم عاشوراء، وساق فيه أكثر من ثمان وثلاثين رواية؛ منها ما رواه بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام. بل زعموا أن السماء والأرض بكت لقتله فأمطرت السماء دمًا وترابًا أحمر، كما بكت الملائكة والجن وسائر المخلوقات. البحار (٤٤/ ٢٧٨ - ٢٩٦).

وقال ابن كثير: فكل مسلم ينبغي له أن يُحزنه هذا الذي وقع من قتله رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين وعُلماء الصحابة، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي أفضل بناته، وقد كان عابدًا وشجاعًا وسخيًا، ولكن لا يَحْسُن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنُّع ورياء، وقد كان أبوه أفضل منه وهم لا يتخذون مقتله مأتمًا كيوم مقتل الحسين، فإن أباه قُتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من عليٍّ عند أهل السنة والجماعة، وقد قُتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر

ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد، ولم يتخذ الناس يوم مقتله مأتمًا، وكذلك عمر بن الخطاب، وهو أفضل من عثمان وعلي، قتل وهو قائم يُصلي في المحراب صلاة الفجر وهو يقرأ القرآن، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتمًا، وكذلك الصِّديق كان أفضل منه، ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتمًا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله ولم يتخذ أحد يوم موته مأتمًا يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين، ولا ذكر أحد يوم موتهم وقبلهم شيء مما ادّعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة مثل كسوف الشمس والحمرة التي تطلع في السماء وغير ذلك، وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه الحسين بن علي عن جدّه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من مسلم يُصاب بمصيبة فيتذكرها وإن تقادم عهدها، فيُحدثُ بها استرجاعًا إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أُصيب بها». البداية والنهاية (١١/ ٥٧٩).

أهل الابتداع يحرمون صيام يوم عاشوراء

ولم يكتفوا بجعل عاشوراء مأتمًا بل وصل بهم الحال إلى أن قالوا: بتحريم صيام عاشوراء، وأن من صامه فهو عدو للحسين وأهل بيته رضي الله عنهم أجمعين.

فقد روى الكليني بسنده عن جعفر بن عيسى قال: سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه؟ فقال: عن صوم ابن مرجانة تسألني، ذلك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام، وهو يوم يتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وسلم، ويتشاءم به أهل الإسلام، لا يُصام ولا يُتبرك به، ويوم الاثنين يوم نحس قبض الله عز وجل فيه نبيه، وما أصيب آل محمد إلا في يوم الاثنين فتشاءمنا به وتبرك به ابن مرجانة، وتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وسلم، فمن صامهما أو تبرك بهما لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب، وكان حشره مع الذين سنوا صومهما والتبرك بهما. الكافي (٤/ ١٤٦).

أهل الابتداع جعلوا يوم عاشوراء عيدًا ليكيدوا للشيعة الروافض قال شيخ الإسلام مبينًا ضلال الطائفتين: فعارض هؤلاء قوم إما من النواصب المتعصبين على الحسين وأهل بيته، وإما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد، والكذب بالكذب، والشر بالشر، والبدعة بالبدعة، فوضعوا الآثار في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء كالاكتحال والاختضاب، وتوسيع النفقات على العيال، وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة، ونحو ذلك مما يفعل في الأعياد والمواسم، فصار هؤلاء يتخذون يوم عاشوراء موسمًا كمواسم الأعياد والأفراح. وأولئك يتخذونه مأتمًا يقيمون فيه الأحزان والأتراح، وكلا الطائفتين مخطئة خارجة عن السنة، وإن كان أولئك أسوأ قصدًا وأعظم جهلًا، وأظهر ظلمًا، لكن الله أمر بالعدل والإحسان. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة». ولم يسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون في يوم عاشوراء شيئًا من هذه الأمور، لا شعائر الحزن والترح، ولا شعائر السرور والفرح، «ولكنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا يوم نجّى الله فيه موسى من الغرق فنحن نصومه، فقال: نحن أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه»، وكانت قريش أيضًا تُعظّمه في الجاهلية. واليوم الذي أمر الناس بصيامه كان يومًا واحدًا، فإنه قدم المدينة في شهر ربيع الأول، فلما كان في العام القابل صام يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، ثم فرض شهر رمضان ذلك العام، فنسخ صوم عاشوراء. الفتاوى الكبرى (١/ ٢٠١).

فاللهم إنا نسألك أن تمسكنا بديننا وأن تثبتنا على الحق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القراءة الغربية
للقرآن الكريم وواقعنا الإسلامي المعاصر

إعداد
أ.د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فيجيء هذا الموضوع الذي لم يكن القلم عند كتابته بليل الريق طيع المقادة، وانما كان وقافًا كثير التردد، في الوقت الذي تضاعفت فيه الحملات والكتابات الغربية حول الإسلام بعد اعتياد حثالة من المتعصبين الغربيين بين الفينة والفينة على حرق نسخ من المصحف "القرآن الكريم" والقاء لحم الخنزير عليه وداسوه بأقدامهم النجسة في مشهد فاجر بشع. ففي اليوم الأول لعيد الأضحى، انطلقت تظاهرة أمام أحد المساجد الكبرى في "ستوكهولم"؛ حيث قام أحد النشطاء اليمينيين المعروفين بتطرفهم وكرههم للإسلام بحرق المصحف على مرأى ومسمع من الجميع، وهو ما اعتبرته الشعوب العربية والإسلامية نوعًا من الاستفزاز غير المبرر، وتعصبًا ممقوتًا وفحشًا مستبشعًا.

مما دفع العديد من الدول العربية والدولية لإدانة هذا العمل العنصري، الذي يُحرِّض على زيادة العنف ضد المسلمين.

ودعا الأزهر كافة الشعوب الإسلامية والعربية وأصحاب الضمير الحي بتجديد مقاطعة المنتجات السويدية؛ نصرةً لكتاب الله تعالى، وذلك بعد تكرار الانتهاكات غير المقبولة تجاه المصحف الشريف، والاستفزازات الدائمة لجموع المسلمين حول العالم تحت لافتة حرية الرأي والتعبير الزائفة.

كما دعا الأزهر حكومات الدول الإسلامية

والعربية لاتخاذ مواقف جادة وموحدة تجاه تلك الانتهاكات التي لا يمكن قبولها بأيِّ حالٍ من الأحوال، والتي تحمل إجرامًا وتطرفًا تجاه المقدسات الإسلامية؛ مشددًا على أن سماح السلطات السويدية للإرهابيين المتطرفين بحرق المصحف وتمزيقه في عيد المسلمين؛ لهو دعوة صريحة للعداء والعنف وإشعال الفتن، وهو ما لا يليق بأي دولة متحضرة أو مسؤولة عن قراراتها.

إن أهم ما يميز هذا العصر، تلك الحرب المستعرة، التي يشنها الغرب على الإسلام والمسلمين، وبصور شتى، وعلى أصعدة مختلفة حتى بات الإسلام وقرآنه المبين هدفًا مرفوعًا، تتبارى الأقلام الحاقدة في الغرب صراحة ودون مواربة في ضربه، داعية للقضاء عليه وعلى الشعوب الإسلامية.

ولعله لم يظفر أيّ مصدر في الدوائر الغربية بالاهتمام الذي بلغه القرآن الكريم. وقد تراوحت الأحكام في تلك الدراسات والتحليلات بين الاعتدال والتطرف. بيد أن الكثير من المنصّرين والمستشرقين الغربيين الذين تناولوا قراءة القرآن الكريم حاولوا تقديم تفسيرات للنص القرآني يعتمد على التشويه والتضليل المتعمدين، ثم جاءت المرحلة الجديدة التي نعيشها الآن والتي بدأت بشكل جنوني تأسيسًا على تلك الكتابات الجائرة والأبحاث المضللة والمعلومات الزائفة عن الإسلام ومصدريه الرئيسيين كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وهما أصل الإسلام، وبمشاركة مجموعة في بلاد الغرب من علماء الدين والسياسة والاقتصاد والإعلام والتي جعلت القرآن الكريم الهدف الأول للحملة المعاصرة، وذلك يتم في اتجاهات متعددة أبرزها ثلاثة:

١- العمل على إزالة القرآن كليًا من حياة المسلمين باستخدام ما أسموه بالفرقان الحق، بديلاً عن القرآن الكريم.

٢- الضغط باتجاه حذف آيات محددة من النص القرآني، وخاصة تلك التي تدعو المسلمين إلى مقاومة العدوان، والانتصار للحق، ورفع الظلم عن المستضعفين في الأرض.

٣- تسريب تفسيرات غريبة لنصوص القرآن الكريم، لا تستند إلى منطق علمي من أجل تشويه القرآن الكريم من خارج نصه، وقد كانت المرحلة الأولى للصدام الصليبي- الإسلامي تتوجه نحو احتلال المقدسات الإسلامية، وجاءت المرحلة الثانية لتتوجه نحو السيطرة على المسلمين أرض وشعوب وثروات. وها نحن نعيش في المرحلة الثالثة التي تستهدف الإسلام دينًا وثقافة وحضارة.

ومع كل ما في هذه الحملة من شراسة وعدوانية، وكل ما فيها من سلوكيات ماجنة مستهجنة فإنه لا يجب أن تستدرك الأمة الإسلامية إلى مثل هذه السفاهات الغربية الحاقدة بل يجدر بالأمة الإسلامية أن تستفيق من غفوتها وسباتها العميق فتجعل من كتاب الله تعالى منهاجًا حقيقيًا وواقعيًا وفعليًا في كل مناحي حياتها.

مواجهة التحديات

وهذه الحرب المنهجية على الإسلام وقرآنه العظيم تستلزم ضرورة اتحاد المؤسسات العلمية البحثية الحكومية والأهلية، والهيئات الدعوية والثقافية الإسلامية لمواجهة هذه التحديات التي تواجه المسلمين في عالمنا المعاصر، والتي يجب أن تهتم بإنتاج وسائل دعوية إسلامية معاصرة توجّه إلى الآخر بلغته، وبما يتناسب مع ثقافته، لقطع خط الرجعة على كل المحاولات لتشويه الإسلام أو الاستخفاف بالقرآن الكريم.

فهناك حرب خبيثة تُشن الآن وبأخسّ الوسائل والأفكار على الأمة الإسلامية، تلك هي الحرب الموجهة ضد القرآن الكريم؛ كتاب المسلمين الأول، وحصنهم المنيع الذي يتحصنون فيه، وتلتف من حوله القلوب والنفوس. وهي حرب خطرة لأنها تعبث بالعقول والأفهام. ولكن رحمة الله واسعة، وعدله دائمًا يلمس قلوب عباده، ليطمئن هذه الشعوب الإسلامية المستضعفة، وكأنه يأخذ بأيديها لتُبعَث من جديد، ولترى بشائر النصر، وسط ظلام هذه الكوارث والنكبات!!

ومن أين تأتي هذه البشائر؟ إنها تأتي أيضًا من بين براثن الغرب دون أن يفلح الحاقدون في صدها، ودون أن ينجحوا في كبت أشعتها.

فإذا كان في الغرب أمثال "نولدكه" وتلميذه

المخلص "جاك بيرك" اللذان يستخفّان بالقرآن الكريم، ويدّعيان أنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم، ويُسخران أقلامهما لهدمه، وقد بذلا جهودًا غير محمودة في الافتراء على القرآن الكريم والتخرُّص عليه بالباطل؛ فإن فيه أيضا أمثال "جارودي" المفكر النابغة الذي دخل الإسلام عن قناعة ويقين...!!

كما أن فيه أيضًا "موريس بوكاي" الطبيب الفرنسي المشهور، الذي أعلن إسلامه، ليصبح من أشد المؤمنين بالقرآن إيمانًا... وبأنه مُنزّل من عند الله عز وجل، وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم؛ كما يزعم الأفاقين.

لقد أعلن هذا الرجل إسلامه قائلاً: "لقد دخلت الإسلام، وأمنت بهذا القرآن".

وإذا كان كل من "نولدكه" وتلميذه "جاك بيرك" وأعوانهما يسخرون من القرآن، ويزعمون أنه يحتوي على أخطاء-معاذ الله- فإن "موريس بوكاي" يرد عليهم من طريق العلم الصحيح، والبحث الجاد عن الحقيقة، بأن هذا القرآن ليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم، وما ينبغي له أن يكون كذلك، لما يشتمل عليه من حقائق، لم يسفر العلم عنها إلا في العصر الحديث.

فلقد كتب "موريس بوكاي" كتابًا يقارن فيه بين القرآن والتوراة والإنجيل في ضوء ما أسفرت عنه العلوم الحديثة، أطلق عليه "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم... دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة"، وقبل أن نشير إلى بعض محتويات هذا الكتاب... نود أن نتعرف على الظروف والملابسات التي أدت بمثل هذا الرجل إلى الاعتراف بأن القرآن من عند الله، وليس من عند محمد، وبالتالي إلى دخول الإسلام، وذلك من خلال كتابه الثاني، وهو عبارة عن محاضرة ألقاها أمام معهد الكومنولث البريطاني بلندن عن "القرآن والعلم الحديث" يحكي في هذا الكتاب أن فرنسا استضافت في أواخر الثمانينيات من القرن العشرين، وفي عهد الرئيس الفرنسي "فرانسوا ميتران" مومياء الفرعون المصري "منفتاح" المعروف "بفرعون موسى" أو "فرعون الخروج"، وهو بالطبع غير فرعون الاضطهاد المسمى بـ"رمسيس الثاني"؛ حيث مات "رمسيس الثاني" وقت أن كان موسى عليه السلام بأرض مدين، وخلفه ابنه الفرعون "منفتاح" أو "منبتاح" كما يطلق عليه أحيانًا... استضافت فرنسا مومياء منفتاح لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية ومعالجة عليها.

وقد قام بهذه المهمة فريق من أكبر علماء الآثار في فرنسا، وأطباء الجراحة والتشريح برئاسة البروفيسور "موريس بوكاي".

وبينما كان المعالجون مهتمين بترميم المومياء... كان اهتمام رئيسهم "موريس بوكاي" مختلفًا عنهم للغاية؛ كان يحاول أن يكتشف كيف مات هذا الملك الفرعوني؟

وفي ساعة متأخرة من الليل... ظهرت نتائج تحليله النهائية... لقد كانت بقايا الملح العالقة في جسده أكبر دليل على أنه مات غريقًا...! وان جثته استخرجت من البحر بعد غرقه فورًا، ثم أسرعوا بتحنيط جثته لينجو بدنه!

لكن أمرًا غريبًا ما يزال يحيره وهو، كيف بقيت هذه الجثة دون باقي الجثث الفرعونية المحنطة أكثر سلامة من غيرها، برغم أنها استخرجت من البحر... كان "موريس بوكاي" يعد تقريرًا نهائيًا عما كان يعتقده اكتشافًا جديدًا في انتشال جثة فرعون من البحر وتحنطيها بعد غرقه مباشرة، حتى همس أحدهم في أذنه قائلاً: لا تتعجل، فإن المسلمين يتحدثون عن غرق هذه المومياء... ولكنه استنكر بشدة هذا الخبر، واستغربه، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا بتطور العلم الحديث وعبر أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقة، فقال له أحدهم: إن قرآنهم الذي يؤمنون به يروى قصة عن غرقه، وعن سلامة جثته بعد الغرق...!!

فازداد ذهولاً، وأخذ يتساءل... كيف يكون هذا، وهذه المومياء لم تكتشف أصلًا إلا في عام ١٨٩٨م؛ أي منذ مائة عام، بينما قرآنهم موجود قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟!

وشغلت هذه القضية "موريس بوكاي" وتطورت مواقفه "وسافر إلى المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر طبي يوجد فيه جمع من علماء التشريح المسلمين... وهناك كان أول حديث تحدثه معه عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق... فقام أحدهم، وفتح له المصحف، وأخذ يقرأ له قوله تعالى: « فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ » يونس: ٩٢.

لقد كان وقع الآية عليه شديدًا... ورجَّت له نفسه رجَّة جعلته يقف أمام الحضور ويصرخ بأعلى صوته: "لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن".

تلك قصة هي إسلام "بوكاي" أشهر الأطباء الجراحين في فرنسا، ودخوله هذا الدين من باب العلم، والتحليل الأمين الصادق لإحدى آيات الله المبثوثة في أرض الواقع المشاهد، ومطابقتها في كتاب الله عز وجل منذ ١٤٤٥ عامًا مضت...!!

فما يضير الإسلام أن خرج أحد السفهاء من الغربيين يدفعه العداء القديم والحقد الدفين فأحرق نسخة من كتاب الله، وعبث بأخرى؛ ظنًا منه أن ذلك الفعل الخسيس سيمنع الإقبال المتزايد في أوروبا والعالم على اعتناق الإسلام.

غير أن أوجب الواجبات على الأمة الإسلامية هو الذبّ عن القرآن الكريم مصدر الثوابت الأول في الإسلام، ويكون ذلك باتخاذ تدابير وإجراءات وأعمال يكون من شأنها مواجهة المخاطر التي تهدد الأمة الإسلامية بتشويه القرآن الكريم وطمس أحكامه وحقائقه وهداياته في أذهان بعض المسلمين والغربيين وتضليلهم وصدهم عن اتباعه والعمل به بأحقر الوسائل وأحط السلوك.

ومن أهم الأعمال والوسائل للذبّ عن القرآن الكريم:

١- الدعوة إلى التوسع في دعم برامج حفظ القرآن الكريم، وتقرير أجزاء مناسبة منه، يتم تدريسها وتحفيظها للناشئة في مختلف مراحل الدراسة، مع إحياء دور المؤسسات التي كانت تهتم بتحفيظ القرآن، مثل الكتاتيب في مختلف الدول الإسلامية.

٢- دعوة الجامعات الإسلامية إلى التعاون من أجل إقامة هيئة إسلامية عالمية متخصصة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات العالمية، ويكون من مهامها مراجعة الترجمات الموجودة حاليًا.

٣- إنشاء مرصد إسلامي عالمي لكافة الأبحاث والدراسات التي تظهر على شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت"، والتي تتناول القرآن الكريم خاصة والإسلام عامة، وتبويبها وتحديد اتجاهاتها والرد عليها ردًا علميًا هادفًا، وإظهار الدراسات الغربية الإيجابية للقرآن الكريم والإسلام، وذلك باللغات العربية.

٤- إعداد برامج إعلامية جادة "مرئية ومسموعة" تثبت في العقل المسلم القرآن الكريم، وتوضح علومه وأسس تفسيره.

٥- متابعة وكشف الدراسات التي تظهر في العالم الإسلامي، والتي تدعو إلى قراءة جديدة للقرآن الكريم بغير ضوابط، الأمر الذي يؤدي إلى تفريغ المحتوى الإيماني للقرآن الكريم، وجعله نصًا تراثيًا يمكن التحكم في فهمه وتأويله، والعمل على تنبيه المؤسسات البحثية والأكاديمية إلى خطورة تأثيراتها.

٦- دعم برامج تعليم اللغة العربية، وتعميق الفهم باللسان العربي لتأصيل الفهم السليم للقرآن الكريم.

٧- توجيه الباحثين والدارسين، وخاصة في أقسام الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية، إلى الاهتمام بنقد ودراسة كافة الأبحاث التي تصدر عن المستشرقين والمتغربين على السواء والتي تحاول التشكيك بالقرآن والإسلام أو تشويههما.

٨- على المؤسسات الدينية الإسلامية ضرورة التواصل مع الفضائيات في كافة أنحاء العالم لكشف الأضاليل والأباطيل والمفاهيم المغلوطة التي تحملها كتب المستشرقين.

٩- أن يقوم العالم الإسلامي بإنشاء جائزة دولية للباحثين الغربيين المنصفين تجاه الإسلام والقرآن الكريم.

١٠- دعم التواصل بين كافة الجامعات والمؤسسات والهيئات والجمعيات الإسلامية من أجل توحيد الرؤى والمواقف والجهود، للوقوف أمام كل خطر يهدد الإسلام، ويمس ثوابته.

١١- ضرورة إنشاء مؤسسة ترجمة ونشر، تعمل

على الترجمة الدقيقة للكتب الجيدة التي تعرف بالإسلام وثقافته قديمًا وحديثًا باللغات الأوروبية الكبرى.

وفي خضم هذه الأحداث الجسام التي تهدد الأمة الإسلامية في أساس وجودها، ومصدرها في دينها، ودستورها في حياتها؛ فإن العلماء مدعوون اليوم قبل غيرهم أن يجنّدوا أقلامهم لنقد ما صدر وما يصدر من تصرفات شائنة تجاه القرآن الكريم والإسلام، وتقويمها وإبداء الرأي العلمي بكل تجرد وموضوعية في كل ما يُنتجه الغرب من أفكار وكتابات تخطط المقاييس العقلية والخلقية، وبخاصة تلك الاستنتاجات الخاطئة التي وصفت الإسلام بالإرهاب والتطرف، وهو دين المحبة والتواصل الإنساني مع جميع الأمم والشعوب، وكذلك الرد على ما يذيعه ذيولهم من الملحدين والعلمانيين والباقي عن الإسلام في مجتمعاتنا.

إن تفشي ظاهرة الإساءة إلى الإسلام وإلى رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وحرق المصحف في أوروبا وأمريكا؛ بحيث أصبحت عدوى تصيب كل عُنصري مُتعصّب يجهل حقائق الإسلام في هذه الأماكن يرجع في الأساس إلى الخلط بين الإسلام كدين وواقع المسلمين المزري، فضلاً عن الشبهات التي أثارها المستشرقون في مناهج التعليم الغربية لإقامة جدار عازل بين الإسلام والمجتمع الغربي؛ وذلك لمنع الإنسان غير المسلم من التعرف على مبادئ رسالة الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله للناس كافة؛ لأن هناك مراكز للأبحاث والدراسات في الغرب تُحذِّر مما تسميه "أسلمة الغرب"، وأعربت عن قلقها ومخاوفها من سرعة انتشار الإسلام في هذه البلاد، وتوقعت أنه خلال سنوات قليلة ستتحول الكثير من البلدان الأوروبية إلى دول إسلامية إن لم يتم وقف المد الإسلامي هناك، وبالتالي نجد ما يسمى بظاهرة الخوف من الإسلام.

وقد انصب اهتمام الكثير من المنظمات والهيئات والمؤسسات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية على متابعة هذه الظاهرة وتحليل أسبابها ونتائجها؛ فاتفق الجميع على أن أسباب هذه الظاهرة ترجع-كما أسلفنا القول- إلى الشبهات التي أثارها المستشرقون في مناهج التعليم الغربية لمنع التعرف على الصورة الحقيقية للإسلام، بالإضافة إلى الجهل بحقائق الإسلام وأحكامه وأخلاقه، وتبارت وسائل الإعلام الغربية في دعم التصورات المغلوطة عنه، خاصة الخلط بين الإسلام وواقع المسلمين، فضلاً عن تحميل الإسلام مسؤولية السلوك غير السوي الذي يصدر عن بعض المسلمين الذين مثلوا النموذج الأسوأ عن الشخصية المسلمة، ومن ثم عن الإسلام نفسه. مما أسهم كثيرًا في تصديق تلك الصور النمطية المشوهة.

وهذا يبين لنا أهمية الدور الذي يقوم به الفرد المسلم الملتزم بأحكام دينه في الدعوة إلى الإسلام ورفع راية القرآن وتنفيذ سنة خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، والاقتداء به في السلوك والأخلاق.

فإن في التزام الفرد بمبادئ الإسلام وهدى القرآن الكريم وإقامة سنة الرسول الكريم هي أفضل تعبير عن الدعوة إلى رسالة الإسلام الخالدة، وأصدق بيان لمعاني القرآن المجيد، وأبلغ ردّ في مواجهة العابثين بنُسَخ القرآن الكريم في بلاد الغرب؛ ممن يحسبون ذلك بطولة وحرية تعبير، وهي بطولة موهومة وحرية تعبير حمقاء مغشوشة مجنونة تمثل الحقارة في أبشع صورها والدناءة في أفجر أحوالها.

إن التزام الفرد المسلم بأخلاق النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم التزامًا حقيقيًا وواقعيًا لهو أعظم الأثر في تكميم أفواه هؤلاء الذين يتخلصون بالباطل على القرآن الكريم، ويخوضون بجهل في سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين.

والله المستعان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

وجوب شكر الله تعالى في الشدة والرخاء

قال الله تعالى: « قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ »

(الأنعام: ٦٢- ٦٣).

فضل الصيام في محرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وأَفْضَلُ الصِّيامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضانَ صِيامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ".

(صحيح مسلم: ١١٦٣).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحث على إنظار المعسر أو إسقاط الدَّيْن عنه

عن عبد الله بن أبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ أبا قَتادَةَ، طَلَبَ غَرِيمًا له، فَتَوارى عنْه ثُمَّ وجَدَهُ، فقالَ: إنِّي مُعْسِرٌ، فقالَ: آللَّهِ؟ قالَ: آللَّهِ؟ قالَ: فإنِّي سمِعْتُ رَسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يقولُ: "مَن سَرَّهُ أنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِن كُرَبِ يومِ القِيامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عن مُعْسِرٍ، أوْ يَضَعْ عنْه".

(صحيح مسلم: ١٥٦٣).

فضل صيام يوم عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن صَوْمِ يَوْمِ عاشُوراءَ؟ فَقالَ: يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ. (صحيح مسلم: ١١٦٢).

من دلائل النبوة

شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ، فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُنْزِلْتُ ». (صحيح مسلم: ١٦٢).

إعداد : علاء خضر

من فضائل الصحابة

عن إبراهيم: بلغ علي بن أبي طالب أن عبد الله بن الأسود ينتقص أبا بكر وعمر فهَمَّ بقتله؛ فقيل له تقتل رجلاً يدعو إلى حبّكم أهل البيت؟ فقال: لا يُساكنّي في دار أبدًا. (أصول الاعتقاد للالكائي)

حكم ومواعظ

قال الرَبيع بن أنس رحمه الله: «علامة حبَ الله، كثرة ذِكْره، فإنَك لا تحبَ شيئًا إلا أكثرت من ذِكْره. وعلامة الدَين: الإخلاص لله في السَر والعلانية، وعلامة الشّكر: الرِضى بقدر الله والتَسليم لقضائه. (مدارج السالكين).

البدع الواقعة في يوم عاشوراء

نعي الخطباء للإمام الحسين، وذِكْر ما حلَّ به يوم قتله على المنابر سنويًا كل جمعة من عاشوراء جهلٌ منهم وتغفيل قبيح، واعتقاد ألوف الألوف أن رأس الحسين مدفونة بالمسجد المشهور بمصر به جهل بالتاريخ؛ إذ قتل الحسين بكربلاء ودُفِنَ بها.

(السنن والمبتدعات للشقيري).

من أقوال السلف

قال مالك بن دينار رحمه الله: إذا طلب العبد العلم ليعمل به كسره، وإذا طلبه لغير العمل زاده فخرًا.

(الاعتصام للشاطبي).

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن ابن عبَاس رضي الله عنهما أنَ رسول الله صلَى الله عليه وسلَم كان يقول عند الكرب: «لا إله إلاَ الله العظيم الحليم، لا إله إلاَ الله ربَ العرش العظيم، لا إله إلاَ الله ربَ السَماوات وربَ الأرض وربَ العرش العظيم». (صحيح مسلم: ٢٧٣٠).

التحقيق

في مسألة سماع الموتى

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين.

أما بعد: هل الموتى يسمعون من يزورهم ويكلمهم أم لا يسمعون؟ هذه المسألة اختلف أهل العلم فيها، وهي من المسائل التي يسوغ الخلاف فيها، بناءً على الأدلة التي وردت فيها، وبإعمال القواعد الأصولية والفقهية واللغوية وغير ذلك، ففريق يرى أن الموتى يسمعون بإطلاق، وفريق يرى أنهم لا يسمعون بإطلاق، وفريق يرى أنهم يسمعون في حال دون حال، ولكل فريق أدلته، لكنَّ الجميع متفقون على أن الموتى لا يملكون نفعًا ولا ضرًا لأحد من الأحياء.

أولاً: أدلة من قال: إن الموتى يسمعون:

١- حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الميت إذا وُضع في قبره، إنه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا (متفق عليه).

٢- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه- النداء على قتلى بدر- وفيه.. حتى إذا كان اليوم الثالث، أمر براحلته فشُدَّت برحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه.. حتى قام على شفة الطوي؛ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، فقال: يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أسرَّكم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا، فإنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فقال عمر: يا نبي الله، تُكلِّم أجسادًا لا أرواح فيها، كيف يسمعوا، وأنَّى يجيبوا وقد جيَّفوا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا. قال قتادة: أحياهم الله عز وجل له حتى سمعوا قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمةً وحسرةً وندمًا (الطوي: البئر التي طويت)، رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون... (متفق عليه).

الأحاديث الثلاثة فيها إثبات أن الموتى يسمعون، وفي الحديث الثاني والثالث

خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يخاطب إلا مَن يسمع.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي، حتى أرد عليه السلام (صحيح سنن أبي داوود وغيره).

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من رجل يمر على قبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا ردَّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام (أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية وضعَّفه، وكذلك ضعفه الألباني، انظر السلسلة الضعيفة ٤٤٩٣، وضعفه الأرناؤوط في تخريج سير أعلام النبلاء ١١٢/ ٥٩٠، وغيرهم، ورواه ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما معلقًا، وقال بصحته، وصححه جماعة من أهل العلم منهم ابن تيمية، والقرطبي، والعراقي والشوكاني وغيرهم.

وقالوا: إن الحديثين يؤكدان ما ذهبنا إليه من إثبات سماع الموتى.

مناقشة أدلة الفريق الأول:

١- سماع الميت لخفق نعال المشيعين له، ذلك خاص بأول وضع الميت في القبر ولا يتعدى لغيره، مقدمة لسؤال الملكين-كما في تمام الحديث- فيأتيه ملكان فيُجلسانه ويقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله؛ فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذي أرسل فيكم؟...

٢- نداء النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الطوي (القليب) في بدر، من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وخصوصية له.

وقول عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث، وهل يسمعونه؟ يقول الله عز وجل: (إنك لا تُسمع الموتى).

فهذا يدل على أن عدم سماع الموتى كان مستقرًا عند الصحابة، لذا استدل عمر رضي الله عنه بالآية؛ لأنها العمدة في المسألة.

لكن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن أن هؤلاء لهم أمر خاص، عندما قال صلى الله عليه وسلم: والله ما أنتم بأسمع لما أقول منهم.

٤- حديث أبي هريرة رضي الله عنه في رد النبي صلى الله عليه وسلم على مَن يسلم عليه، ذلك من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم.

وهناك من أهل العلم مَن ضمَّ إليه حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام (رواه النسائي وأحمد وغيرهما، قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: سنده جيد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع).

فجمعوا بين حديث أبي هريرة وحديث ابن مسعود رضي الله عنهما، وقالوا: إن إبلاغ السلام للنبي صلى الله عليه وسلم يكون عن طريق الملائكة.

٥- حديث رد الميت السلام على مَن يسلم عليه، فيه تنازع بين أهل العلم في الحكم على سنده، ولو قلنا بصحته فيكون من باب إلقاء السلام على الموتى عند الزيارة، لا يتعدى ذلك إلى عموم سماع الموتى.

ومن أهل العلم مَن ذهب إلى أن إلقاء السلام على الموتى أمر تعبُّديّ، كما نُسلّم في الصلاة عن اليمين والشمال. وإن السلام على الموتى من باب الدعاء لهم بالرحمة.

وممن قال بسماع الموتى فريقٌ من أهل العلم، منهم ابن تيمية (وإن كان نُقل عنه قول آخر وهو أنهم يسمعون في حال دون حال، كما سيأتي) وابن كثير، وابن رجب والقاضي عياض والنووي وغيرهم، ومن المعاصرين الشنقيطي، الذي ذهب إلى أن آيات نفي سماع الموتى لا تخالف الأدلة الصحيحة في سماعهم، ورجَّح السماع (انظر تفسير ابن كثير ٦/ ٣٢٤- ٣٢٧، أهوال القبور لابن رجب ٧٥، أضواء البيان ٦/ ١٢٨- ١٤٢).

قال ابن القيم: قد شرع النبي صلى الله عليه وسلم لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام مَن يخاطبونه، فيقول

المسلم: السلام عليكم دار قوم مؤمنين... وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد.

والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي ويستبشر به (انظر الروح ١ / ٨، ولم أقف على أحد نقل الإجماع في هذه المسألة، فإن الخلاف واقع فيها من أيام الصحابة رضي الله عنهم).

ثانيًا: أدلة الذين قالوا إن الموتى لا يسمعون: قوله سبحانه وتعالى: (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ) النمل ٨٠، وقوله سبحانه تعالى: (وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ) (فاطر ٢٢).

وعن عروة قال: ذُكِرَ عند عائشة رضي الله عنها أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الميت يُعذَّب في قبره، ببكاء أهله عليه".. وفيه.. وهِلَ أبو عبد الرحمن (ابن عمر) كما وَهِلَ يوم قليب بدر، في قوله: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين، فقال لهم ما قال: إنهم ليسمعون ما أقول.

وقد وَهِلَ، إنما قال: إنهم ليعلمون الآن أنّ ما كنت أقول لهم حق، وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد علموا حين تبوؤوا مقاعدهم من النار، ثم قرأت: (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ) (النمل: ٨٠)، (وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ) (فاطر: ٢٢) (رواه البخاري ومسلم وغيرهما)؛ فعائشة رضي الله عنها حملت الآيات على الحقيقة، وجعلت ذلك أصلاً لعدم سماع الموتى.

مناقشة أدلة الفريق الثاني:

قول عائشة رضي الله عنها: وَهِلَ (ابن عمر رضي الله عنهما)؛ فالعلماء صوبوا رواية ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنهم الآن ليسمعون، وردوا قولها فيه: وهل، لأنه مُثبت، وهي نافية، ولأنه لم يتفرد بذلك بل تابعه أبوه عمر وأبو طلحة رضي الله عنهما، وغيرهما (انظر أحكام الجنائز للألباني ص١٣٣).

وقالوا: إن قوله سبحانه وتعالى: (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ)، وقوله تعالى: (وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ): ذلك من المجاز، وأن الكفار الأحياء شُبِّهوا بالموتى.

وأجيب عن ذلك: بأن معنى الآيتين تشبيه الكفار الأحياء بالموتى، لكن هذا لا يمنع الاستدلال بهما؛ لأن الموتى لما كانوا لا يسمعون حقيقة، وذلك مقرر ومعلوم عند المخاطبين، شُبِّه بهم الكفار، وهذا كقوله تعالى: (ولا تُسمع الصم الدعاء إذا ولَّوا مدبرين)؛ فقد شبَّه الله تعالى في الآية الكفار بالصم الذين لا يسمعون، ومن المعلوم أن الأصم لا يسمع حقيقةً.

يقول ابن كثير: "قد استدلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذه الآية (إنك لا تسمع الموتى) على توهيم عبد الله بن عمر في روايته مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم القتلى الذين ألقوا في قليب بدر بعد ثلاثة أيام، ومعاتبته إياهم وتقريعه لهم، حتى قال له عمر: "يا رسول الله، ما تُخاطب من قوم قد جيَفوا ؟ فقال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون".

وتأولته عائشة على أنه قال: إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق... والصحيح عند العلماء رواية ابن عمر.... وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه، وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم لأمّته إذا سلّموا على أهل القبور أن يسلّموا عليهم سلام من يخاطبونه... وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد" (انظر تفسير ابن كثير ٦/ ٣٢٤- ٣٢٧).

وقد وردت رواية عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفيها: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. في مغازي ابن إسحاق، قال ابن حجر بإسناد جيد (انظر: فتح الباري ٧/ ٣٠٣).

ويقول ابن تيمية في قوله تعالى: (إنك لا تسمع الموتى)، إنما أراد به السماع المعتاد الذي ينفع صاحبه، فإن هذا مثل ضرب للكفار، والكفار تسمع الصوت لكن لا تسمع سماع قبول بفقه واتباع، كما قال تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا

دُعَآءً وَنِدَآءً) (البقرة: ١٧١).

فهكذا الموتى الذين ضرب لهم المثل، لا يجب أن يُنفَى عنهم جميع أنواع السماع المعتاد، كما لم ينف ذلك عن الكفار، بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا يُنفَى عنهم (انظر مجموع الفتاوى ٤/ ٢٩٥- ٢٩٩).

ثالثًا: الموتى يسمعون في حال دون حال: يقول ابن تيمية بعد أن ذكر الأدلة في المسألة: "هذه النصوص وأمثالها تبيّن أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائمًا، بل قد يسمع في حال دون حال، كما قد يعرض للحي، فإنه يسمع أحيانًا خطاب من يخاطبه، وقد لا يسمع لعارض يعرض له (انظر مجموع الفتاوى: ٢٤/ ٣٦٤).

الترجيح:

أولاً: مسألة سماع الموتى من مسائل الغيب الذي اختص الله تعالى بعلمه، إلا ما أعلمنا الله به.

ثانيًا: الأصل أن الموتى لا يسمعون حسب ما ورد في الآيات، وأن حمل الدليل على الحقيقة مقدَّم على حمله على المجاز، كما هو مقرر في الأصول، ما لم يأتِ صارف يصرفه من الحقيقة إلى المجاز.

فقوله سبحانه وتعالى: (وما أنت بمسمع من في القبور)، وقوله تعالى: (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين)؛ دليل على عدم سماع الموتى على العموم، لكن يُستثنى من ذلك ما ورد الشرع بتخصيصه كالسماع لخفق النعال في أول الدفن، فهذا ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا مجال للتنازع فيه.

وأما إلقاء السلام عند الزيارة، فحمله على الحقيقة-وهو الأصل- لا يلزم منه أنهم يسمعون.

لوجود نظائر لذلك لا يقتضي منها السماع، كالسلام في الصلاة عن اليمين واليسار، وكذلك إلقاء السلام، إذا دخل بيته وإن كان ليس فيه أحد، كما ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم.

يقول الإمام النووي: "ويستحب إذا دخل بيته أن يسلم، وإن لم يكن فيه أحد، وليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وكذا: إذا دخل مسجدًا أو بيتًا لغيره ليس فيه أحد، يستحب أن يسلم ... (انظر الأذكار: ص٢٥٨).

وكذلك ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: «فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً» (النور:٦١).

قالِ: وقيل المراد بالبيوت المسكونة، أي فسلموا على أنفسكم.. وقالوا: يدخل في ذلك البيوت غير المسكونة، ويسلم المرء فيها على نفسه..

قال ابن العربي: "القول بالعموم في البيوت هو الصحيح، ولا دليل على التخصيص.. (انظر تفسير القرطبي: ١٢/ ٣١٨).

وقد يكون السلام على الملائكة وعلى الجن المسلم.

فلا ينبغي أن نجعل أدلة السماع هي الأصل، بل الأصل عدم السماع، والاستثناء هو ما ورد به الشرع في سماعهم في بعض الأحوال.

وقد ذهب إلى ذلك جماعات من أهل العلم، كالألوسي (انظر روح المعاني: ٦/ ٤٥٥)، وابن عابدين (انظر رد المحتار ٣/ ١٨٠)، وللألوسي رسالة الآيات البينات في عدم سماع الأموات بتحقيق الألباني، وقد رجَّح فيها ما ذهب إليه الألوسي. وكذلك رجَّح هذا القول اللجنة الدائمة (انظر ٢/ ١٦٩- ١٧١)، وابن باز وابن عثيمين، وغيرهم.

ولعل مما يؤيد هذا حديث الحوض الذي رواه جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: سحقًا سحقًا، بعدًا بُعدًا. هذا والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

شروط صلاة الجمعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: فما يزال الحديث موصولًا عن صلاة الجمعة، وما يتعلق بها من أحكام ومسائل، وقد انتهينا من الحديث عن منهيات صلاة الجمعة، ونواصل في هذا اللقاء الحديث عن شروط صلاة الجمعة، وما يتعلق بها من أحكام ومسائل.

إعداد **د. حمدي طه**

وقبل أن نتكلم عن شروط صلاة الجمعة نمهِّد لها ببيان معنى الشرط والفرق بين شرط الوجوب وشرط الصحة:

الشرط هو ما يلزم من عدمه عدم المشروط، ولا يلزم من وجوده وجود المشروط ولا عدمه. ولنوضح ذلك بمثال:

عندما نقول: إن الطهارة شرط لصحة الصلاة فمعنى ذلك أن من صلى بغير طهارة فصلاته باطلة قطعًا، ولكن مَن تطهر وصلى فهل نستطيع القول: إن صلاته صحيحة؟ الجواب: لا، لأننا لا ندري هل تحقق باقي الشروط أو لا، فلزم من عدم الطهارة عدم صحة الصلاة، ولكن لم يلزم من وجود الطهارة وجود صحة الصلاة إلا إذا انضم إليها سائر شروط الصحة. وهكذا القول في شروط وجوب العبادة، فشرط الوجوب إذا انتفى سقط الوجوب، ولكن وجوده لا يكفي في تحقق الوجوب حتى توجد بقية شروطه.

وعلى هذا فقولنا: إن صلاة الجمعة لها شروط صحة وشروط وجوب، يعني أنه لا تصح صلاة الجمعة إلا بتحقق جميع شروط صحتها، فإن انتفى شرط واحد منها أو أكثر لم تصح، كما أنها لا تجب على الإنسان إلا إذا وُجد جميع شروط الوجوب، فإن تخلَّف شرط منها أو أكثر لم تَجب، وبهذا ندرك أنه لا تلازم بين الصحة والوجوب، فقد يفترقان وقد يجتمعان، مثال افتراقهما:

البلوغ شرط في وجوب الجمعة، فلا تجب الجمعة على الصبي، ولكن إذا صلى الصبي الجمعة صحَت منه؛ لأن البلوغ شرط وجوب لا شرط صحة.

الخطبة شرط في صحة الجمعة، فلو صلت جماعة من المسلمين الجمعة بغير خطبة كانت الصلاة باطلة، ولكن الوجوب باقٍ عليهم ولم يسقط بانتفاء الخطبة؛ لأنها شرط صحة لا شرط وجوب.

أولًا: شروط وجوب الجمعة:

الشرط الأول: البلوغ:

فلا تجب الجمعة على صبي، ولا خلاف في ذلك إلا رواية شاذة عند الحنابلة في الصبي المميز، ذكرها ابن قدامة في المغني؛ فقال: وذكر بعض أصحابنا في الصبي المميز رواية أخرى أنها واجبة عليه بناء على تكليفه ولا معول عليه (المغني- ابن قدامة ١٧١/٢).

والأصل في ذلك ما ورد عن طارق بن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة؛ إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض". رواه أبو داود.

وعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "رُفِعَ القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق". وهو دليل على أن البلوغ شرط وجوب في سائر العبادات.

الشرط الثاني: الذكورة:

فلا تجب الجمعة على امرأة، ولا خلاف في ذلك أيضًا، قال ابن المنذر: "أجمع كل مَن نحفظ عنه من أهل العلم أن لا جمعة على النساء"، ودليل هذا الشرط حديث طارق بن شهاب السابق.

الشرط الثالث: القدرة على أدائها:

والأصل في ذلك عموم قول الله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ (سورة البقرة: ٢٨٦)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم" (رواه البخاري من حديث أبي هريرة).

وهذا يعني أن يكون الإنسان خاليًا من الأعذار المانعة من أداء صلاة الجمعة ومن هذه الأعذار:

١- المرض الذي لا يقدر معه على الوصول إلى مكان الصلاة، أو يقدر عليه بمشقة غير معتادة، للحديث السابق، ولحديث طارق بن شهاب، فإن استطاع تلافي المشقة وجبت عليه الجمعة قال المالكية: ومرض يشق معه حضور الجمعة والجماعة ماشيًا وراكبًا وإن لم يشتد..... فإن شق عليه ماشيًا لا راكبًا وجبت عليه الجمعة إن كانت له دابة أو لم تُجْحف به الأجرة وإلا فلا (انظر منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل للشيخ عليش ٤٥٠/١)، ويلحق بالمريض الشيخ الفاني الذي لا يقدر على المشي ولا يجد مركبًا.

٢- الأعمى الذي لا يجد قائدًا وليس بقريب من المسجد، فإن وجد قائدًا ولو بأجرة المثل وجبت عليه الجمعة. وهذا مذهب الجمهور لكن قال ابن عابدين الحنفي: "بل يظهر لي وجوبها على بعض العميان الذي يمشي في الأسواق ويعرف الطرق بلا قائد ولا كُلفة، ويعرف أي مسجد أراده بلا سؤال أحد، لأنه حينئذ كالمريض القادر على الخروج بنفسه، بل ربما تلحقه مشقة أكثر من هذا" (حاشية رد المحتار ١٦٧/٢)، ويشهد له حديث ابن أم مكتوم أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُرخِّص له فيصلي في بيته فرَخَّص له، فلما ولى دعاه فقال: "هل تسمع النداء بالصلاة؟ فقال: نعم قال: فأجب" (رواه مسلم).

٣- التخلف لحاجة لا يقوم بها غيره

كتمريض مريض محتاج إلى مَن يُمرّضه؛ لأن حق المسلم آكد من حق الجمعة.

٤- الخوف على مال له بال إن تركه أُخذ منه من سلطان أو لص أو ضياع، وكذلك إن استؤجر على حراسة كمن يقوم بحراسة المرافق العامة أو الخاصة، وكذلك المجندين من الجيش والشرطة المكلفين بالحراسة في وقت الجمعة.

٥- شدة المطر والطين ونحوهما، والأصل في ذلك ما روي عن ابن عباس أنه قال لمؤذنه في يوم مطير: "إذا قلتَ أشهد أن محمدًا رسول الله فلا تقل حي على الصلاة قل: صلوا في بيوتكم"؛ فكأن الناس استنكروا، قال: فعله من هو خير مني، إن الجمعة عزمة، وإني كرهت أن أحرجكم فتمشون في الطين والدحض" (رواه البخاري).

قال النووي: "في هذا الحديث دليل على سقوط الجمعة بعذر المطر ونحوه وهو مذهبنا ومذهب آخرين. (شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٨/٥).

٦- كل ما كان ذو رائحة كريهة بسبب مرض أو ثوم أو بصل نيئين ونحوهم ولا يمكن إزالتها قبل الجمعة، فإن أمكن إزالتها وجبت ويدل لذلك حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أكل من هذه الشجرة يريد الثوم فلا يغشانا في مساجدنا" (رواه البخاري ومسلم)، والعلة في ذلك عدم إيذاء الناس والملائكة، وقد جاءت في رواية أخرى؛ قال جابر رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم" متفق عليه.

وقد ذكر أهل العلم أمورًا غير هذه محلها المطولات؛ منها الخوف من عدو، عدم وجود ثياب تستره بما يليق بحاله، ومن وجب عليه قَوَد-بفتح القاف والواو القصاص-، ورجا بعدم الخروج إلى الجمعة أن يحصل له عفو جاز له التخلف عنها.

الشرط الرابع: الإقامة

فيشترط لوجوب الجمعة أن يكون مقيمًا فلو كان مسافرًا فلا تجب عليه الجمعة، واستدلوا علي ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس على مسافر جمعة" (رواه البيهقي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما) وضعفه بعض أهل العلم وصححه آخرون. (انظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني ٦١/٣).

قال ابن عبد البر: "وأما قوله "ليس على مسافر جمعة" فإجماع لا خلاف فيه. (الاستذكار ٢٩/٢).

وخالف الظاهرية فقالوا بوجوب الجمعة على المسافر وضعفوا ما استدل به الجمهور قال ابن حزم: "وسواء فيما ذكرنا من وجوب الجمعة المسافر في سفره والعبد والحر والمقيم ... ثم قال: قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا نُودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع»؛ فهذا خطاب لا يجوز أن يخرج منه مسافر ولا عبد بغير نص من رسول الله صلى الله عليه وسلم" (انظر المحلى ٤٩/٥).

والظاهر من الآثار أن الجمعة لا تجب على المسافر، وهو الأقرب إلى السنة.

وقد اختلف في المسافر هل تجب عليه الجمعة إذا كان نازلاً أم لا؟

فقال جمهور الفقهاء: إنها لا تجب عليه ولو كان نازلاً وقت إقامتها، واستدلوا بما تقدم. وقال آخرون: "إنها تجب على المسافر إذا كان نازلاً وقت إقامتها، لا إذا كان سائرًا"، ومحل الخلاف هل يطلق اسم المسافر على من كان نازلاً أو يختص بالسائر؟ والراجح عدم الفرق بين المسافر النازل والمسافر السائر لعموم الحديث. لكن تُستحب له الجمعة للخروج من الخلاف، ولأنها أكمل.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

نعمة تربية البنات الصالحات

إعداد الشيخ صلاح نجيب الدق

الحَمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ وَالسَّلامُ على نَبيِّنا مُحمَّدٍ وَعلى آلهِ وَصَحْبهِ أجْمعينَ. وبعدُ: فيجب على المسلم أن يدعو الله تعالى بأن يرزقه الذرية الصالحة، ويجب عليه أن يكون راضياً بما رزقه الله تعالى من الذرية؛ ذكوراً أم إناثاً. وأقول وبالله تعالى التوفيق:

الله تعالى هو الوهاب بالذكور والإناث

يقول الله تعالى: (لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (الشورى: ٤٩: ٥٠).

قال الإمام ابن كثير رَحمَهُ الله: يُخبرُ تَعالى أنَّهُ خالقُ السَّماوات والأرْض ومَالكُهُمَا وَالمُتَصرِّفُ فيهمَا، وَأنَّهُ ما شاءَ كانَ، وَمَا لَمْ يَشأْ لَم يكُنْ، وأنَّهُ يُعْطي مَنْ يَشاءُ، وَيمْنَعُ مَنْ يَشاءُ، وَلا مَانعَ لِما أعْطى، وَلا مُعْطيَ لِما مَنَعَ، وأنَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ، وَ (يَهبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثا) أيْ: يَرزُقُهُ البَنَات فقطْ. قَال البَغَويُّ: وَمنْهُمْ لوط، عَليْه السَّلامُ. (وَيَهبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكورَ) أيْ: يَرْزُقُهُ البَنينَ فقطْ. قَال البَغَويُّ: كَإبْرَاهيمَ الخليل، عَليْه السَّلامُ لَمْ يُولدْ له أُنْثَى. (أوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وإنَاثا) أيْ: وَيُعْطي مَنْ يَشاءُ مِنَ النَّاس الزَّوْجَيْن الذَّكرَ والأُنْثى، أيْ: منْ هَذا وَهَذا. قَالَ البَغَويُّ: كَمُحمَّد، عَليْه الصَّلاةُ والسَّلامُ (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقيمًا) أيْ: لا يُولدُ لَهُ. فَجَعَلَ النَّاسَ أرْبعَةَ أقْسَام، منْهُمْ مَنْ يُعْطيه البَنَات، وَمنْهُمْ مَنْ يُعْطيه البَنينَ، وَمنْهُمْ مَنْ يُعْطيه منَ النَّوْعَيْن ذُكُورًا وَإنَاثًا، وَمنْهُمْ مَنْ يَمْنَعُهُ هَذا وَهَذا، فَيَجْعَلُهُ عَقيمًا لا نَسْلَ لَهُ وَلا يُولَدُ لَهُ، (إنَّهُ عَليمٌ) أيْ: بمَنْ يَسْتَحقُّ كُلَّ قسْم منْ هَذه الأقْسَام، (قَديرٌ) أيْ: عَلَى مَنْ يَشاءُ، منْ تَفَاوُت النَّاس فِي ذَلكَ. (تفسير ابن كثير: ج٧- ص٢١٦).

قَال الإمامُ ابنُ القيم (رَحمَهُ الله) تعليقا على هذه الآية الكريمة:

قَسَّمَ سُبْحَانَهُ حَالَ الزَّوْجَيْن إلى أرْبَعَة أقْسَام اشْتَمَلَ عَلَيْهَا الوُجُود، وَأخْبَرَ أن مَا قَدَّره بَيْنَهمَا من الوَلَد فقد وهبهما إيَّاه وكفى

بالعَبد تعرضًا لمَقْته أن يتسخط مَا وهبه، وَبدأ سُبْحَانه بذكر الإنَاث فقيل جبرًا لهُنَّ لأجل استثقال الوَالدين لمكانهن، وَقيل وَهُوَ أحسن إنَّما قدمهن لأن سيَاق الكلام أنه فاعل مَا يشاء، لا مَا يشاء الأبوان؛ فإن الأبوَيْن لا يُريدان إلاَّ الذُّكور غالبًا وَهُوَ سُبْحَانَهُ قد أخبر أنه يخلق مَا يشاء، فبدأ بذكر الصِّنْف الَّذي يشاء ولا يُريدهُ الأبوان. وَعنْدي وَجه آخر وَهُوَ أنه سُبْحَانَهُ قدم مَا كَانَت تؤخره الجاهليَّة. (تحفة المودود- لابن القيم- صـ١٦).

قال الإمام أبو بكر البيهقي (رحمَهُ الله): كُلُّ مَنْ وُلدَ لَهُ منَ المُسْلمينَ وَلدٌ ذكرٌ أوْ أنْثى فعليْه أنْ يَحْمَدَ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلى أنْ أخْرَجَ منْ صُلْبه نَسَمَةَ مثْلَه تُدْعَى لَهُ، وَتُنْسَبُ إليْه، فيَعْبُدُ الله لعبَادَته، وَيُكَثِّرُ به فِي الأرْض أهْلَ طاعته. (شعب الإيمان- للبيهقي- ج ١١. ص١٠٤).

السجود لله شكراً على نعمة الذرية

يُستحبُ للوالد أن يَسجدَ شُكْراً لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى تعالى أن يعلم أن زوجته قد أنجبت، وأن الله قد جعل من نسله من يقول: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)؛ فعنْ أبي بَكْرَةَ، رَضيَ اللهُ عنْهُ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، كانَ إذا أتاهُ أمْرٌ يسُرُّهُ أوْ بُشِّرَ به خَرَّ ساجدًا شُكْرًا لله تَبارَكَ وتَعالى. (صحيح ابن ماجه للألباني، حديث ١١٤٣).

قال الشيخ: عبد الرؤوف المناوي (رَحمَهُ الله): قوله: (خَرَّ ساجدًا شُكْرًا لله): أي سقط على الفور هاويًا إلى إيقاع سجدة لشكر الله تعالى على ما أحدث له من السرور، ومن ثم نُدبَ (اُسْتُحبَّ) سجود الشكر عند حصول نعمة واندفاع نعمة، والسُّجُودُ أقْصَى حَالَة العَبْد فِي التَّواضع لربه وهو أن يضع مكارم وجهه بالأرض وينكس جوارحه، وهكذا يليق بالمؤمن كلما زاده ربه محبوباً ازداد له تذللاً وافتقاراً إليه، فبه ترتبط النعمة ويجتلب المزيد (لَئن شَكَرْتُمْ لأَزيدَنَّكُمْ)، والمصطفى صلى الله عليه وسلم أشْكَر الخَلْق للحق، لعظم يقينه فكان يفزع إلى السجود. (فيض القدير- عبد الرؤوف المناوي- ج٥- ص١١٨)

كراهية الذرية من البنات عادة جاهلية

إن عدم الرضا بالذرية من الإناث من صفات أهل الجاهلية التي ذمها الله تعالى فِي قوله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ) (النحل: ٥٨: ٥٩).

قَوْلُهُ: (وَإذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) أيْ: كَئيبًا من الهَمِّ.

قَوْلُهُ: (وَهُوَ كَظيمٌ) سَاكتٌ منْ شدَّة مَا هُوَ فيه من الحُزْن.

قَوْلُهُ: (يَتَوَارَى منَ القَوْم) أيْ: يَكْرَهُ أنْ يَرَاهُ النَّاسُ.

قَوْلُهُ: (أيُمْسكُهُ عَلَى هُون) أيْ: إنْ أبْقَاهَا أبْقَاهَا مُهَانَةً لا يُوَرِّثُهَا، وَلا يَعْتَني بهَا، وَيُفَضِّلُ أوْلادَهُ الذُّكُورَ عَلَيْهَا.

قَوْلُهُ: (أمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَاب) أيْ: يَدْفنُهَا حَيَّةً فِي التُّرَاب، كَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِي الجَاهليَّة. (تفسير ابن كثير- ج٤- ص٥٧٨).

قال ابن عثيمين رحمَهُ الله: كراهية البنات، لا شك، أنه من أمْر الجاهلية، وفيه نوع من التسخط على قضاء الله وقدره. والإنسان لا يدري، فلعل البنت خير له من أولاد ذكور كثيرين، وكَمْ من بنت صارت بركَةً على أبيها فِي حياته ومماته، وكَمْ من ابن صار نقمةً ومحنةً على أبيه فِي حياته، ولم ينفعه بعد مماته. (فتاوى علماء البلد الحرام ص١٣٩٥).

ابنة أبي حمزة الأعرابي:

كان لأبي حمزة الأعرابي زوجتان، فولدت إحداهما بنتاً، فغضب واجتنبها، وصار يسكن فِي بيت زوجته الأخرى، فأحست الأولى به يوماً عند الثانية فجعلت تلاعب ابنتها الصغيرة وتقول:

مَا لأبي حَمْزَةَ لا يَأْتينَا
يَظَلُّ فِي البَيْت الَّذي يَلينَا
غَضْبانَ ألاَّ نَلدَ البَنينَا
تَاللهِ مَا ذَلكَ فِي أيْدينَا
نَحْنُ كَالزَّرْع لزَارعينَا
نُنْبتُ مَا قَدْ زَرَعُوهُ فينَا

فلما سمعها أبو حمزة ندم على ما فعل ورجع إليها. (بهجة المجالس- لابن عبد البر- صـ١٦٢).

أضرار عدم الرضا بالذرية من البنات

نستطيع أن نوجز آثار وخطورة عدم الرضا برزق الله تعالى بالذرية من البنات في الأمور التالية:

(١) عدم الرضا بالبنات فيه اعتراض على قَدَر الله تعَالى، وهو القائل: (يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ) (الشورى:٤٩).

(٢) فيه ردٌ لهبة الله تعالى بدلاً من شكرها وكفي بذلك تعرضاً لغضب الله.

(٣) فيه تشبه بأخلاق أهل الجاهلية. قال تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) (النحل: ٥٨).

(٤) فيه دليل على الجهل والخلل في العقل.

(٥) يجعل الزوجة تتحمل ما لا تطيقه، فبعض الأزواج يغضبون على الزوجة بمجرد أن يرزقها الله تعالى بالأنثى.

فائدة طبية مهمة

لقد أثبتت التجارب والأبحاث العلمية الحديثة أن نوع المولود لا دخل للمرأة فيه مُطلقاً، وأن الرجل هو الذي يحمل في جيناته النوعين (الذكر والأنثى) بإذن الله تعالى، والمرأة لا تحمل في جيناتها إلا نوعاً واحداً وهو (الأنثى) فالله تعالى هو الذي جَعَلَ الرجل هو المسؤول عن تحديد نوع المولود. (كلمات وأفعال ومعتقدات خاطئة- طلعت زهران- ص٤٦).

فضل الإحسان إلى البنات

حثنا نبينا صلى الله عليه وسلم على الإحسان إلى البنات والاهتمام بتربيتهن؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ. (صحيح مسلم- حديث ٢٦٣١).

قَوْلُهُ: (مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ): أَيْ: أَنْفَقَ عَلَى بنتين صغيرتين أو أخوات أو غيرهما، وقام بما تحتاجان إليه من طعام وشراب وكساء، وغير ذلك.

قَوْلُهُ: (حَتَّى تَبْلُغَا): تُدْرِكَا سن البُلُوغ، وهو أربع أو خمس عشرة سَنَة، أو ظهور إحدى علامات البلوغ، كنزول دم الحيض.

قَوْلُهُ (جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَذَلِكَ) أَيْ: جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُصَاحِبًا لِي.

قال ابن عثيمين (رَحِمَهُ اللَّهُ): العَوْلُ في الغالب يكون بالقيام بمئونة البدن؛ من الكسوة والطعام والشراب والسكن والفراش ونحو ذلك، وكذلك يكون في غذاء الروح؛ بالتعليم والتهذيب والتوجيه والأمر بالخير والنهي عن الشر وما إلى ذلك. (شرح رياض الصالحين- ج٣- صـ١٠٦).

وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّه عَنْهَا زَوْج النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَتْ: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ، وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا، فَسَأَلَتْنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَأَخَذَتْهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْنَتَاهَا، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ. (صحيح مسلم- حديث ٢٦٢٩)

قَوْلُهَا (فَسَأَلَتْنِي) أَيْ: طلبت مني عَطِيَّةً.

قَوْلُهَا (فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا)، أَيْ: مَعَ جُوعِهَا إِذْ يُسْتَبْعَدُ أَنْ تَكُونَ شَبْعَانَةً مَعَ جُوعِ ابْنَتَيْهَا. (مرقاة المفاتيح- علي الهروي- ج٧- ص٣١٠٠).

قال الإمام النووي (رَحِمَهُ اللَّه): قَوْلُهُ: (مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ) إِنَّمَا سَمَّاهُ ابْتِلَاءً لِأَنَّ النَّاسَ يَكْرَهُونَهُنَّ في العَادَةِ. (صحيح مسلم بشرح النووي- ج١٦- صـ١٧٩).

قَوْلُهُ: (مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ): قال الإمام القرطبي (رَحِمَهُ اللَّه): مَن امتُحِنَ واختُبِرَ بالذرية من البَنَات، (فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ): صانهن وقام بما يصلحهن، ونظر في أصلح

الأحوال لهن، فمَن فعَلَ ذلك، وقصَدَ به وجه الله تعالى، عافاه الله تعالى من النار، وباعده منها، وهو المُعبَّر عنه بالستر من النار. ولا شك في أن مَن لم يدخل النار دخل الجنة. (المفهم- للقرطبي- ج٦- ص٦٣٦).

وقفة صادقة مع النفس

إن الذرية نعمة كبيرة من الله تعالى، وبمجرد أن يُبَشَّر المسلم بأن الله قد رزقه بمولود؛ ينبغي أن يحمد الله تعالى، دون أن يسأل هل هو أذكر أم أنثى؟ ففي كل خير، إن شاء الله، ولا فرق بينهما إلا بالتقوى والعمل الصالح.

روى البخاري في الأدب المفرد عن كثِير بن عُبيد قال: كانت عائشة رضي الله عنها، إذا وُلد فيهم مولود يعني في أهلها لا تسأل غلامًا ولا جارية تقول خُلق سويًا فإذا قيل نعم قالت: الحمدُ لله ربِّ العالمين. (صحيح الأدب المفرد- للألباني- حديث ٩٥١).

قال واثلة بنُ الأسقع، رضي الله عنه: إنَّ من يُمْن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذَّكر، وذلك أنَّ الله تعالى قال: (يهبُ لمنْ يشاءُ إناثا ويهبُ لمنْ يشاءُ الذكور) فبدأ بالإناث. فبدأ بالإناث. (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٦ صـ٤٧).

وعلى المسلم أن يرضى بما قَسَمَهُ الله تعالى له من الذرية ذكوراً أم إناثاً، فإن الرزاق هو الله، والوهاب هو الله تعالى.

وليعلم العبد المسلم أنه لا يدري أين الخير. قال الله تعالى: (ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً) (النساء: ١١)، وقال سبحانه: (وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٢١٦).

وكم من أنثى كانت سبباً لسعادة أبويها في الدنيا والآخرة! وكم من ذكر كان سبباً في شقاء أبويه! وهذا مُشاهد في واقعنا المعاصر، ويجب على الآباء أن يعلموا أن كل شيء قد قَدَّرَهُ الله تعالى وكَتَبَهُ قبل خَلْق السماوات والأرض، وذلك لعلمه بأحوال عباده.

قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ) (القمر: ٤٩)؛ قال الإمام البغوي (رحمه الله): أيْ: ما خلقْناهُ فمقْدُورٌ ومكْتُوبٌ في اللَّوْح المحْفُوظ. قال الحسنُ: قدَّر الله لكُل شيْءٍ منْ خلْقه قدَرهُ الَّذي ينْبغي لهُ. (تفسير البغوي- ج٧ ت صـ٤٨٣)

وقال جل شأنه: (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ) (فصلت: ٤٧)؛ قال الإمام الطبري (رحمهُ الله): يقُولُ تعالى ذكْرُهُ: وما تحْمل منْ أُنْثى منْكُمْ أيُّها النَّاسُ منْ حمْل ولا نُطْفة إلَّا وهُو عالمٌ بحمْلها إيَّاهُ ووضْعها، وما هُو؟ ذكرٌ أو أُنْثى؟ لا يخْفى عليْه شيْءٌ منْ ذلك. (تفسير الطبري- ج١٩- صـ٣٤٢).

وليتأمل هذا الذي يسخط على الذرية من الإناث، كيف يكون حاله لو أن الله تعالى كتَب عليه أن يكون عقيماً، لا ذرية له.

وسائل تربية البنات

نستطيع أن نوجز وسائل تربية البنات في الأمور التالية:

(١) يجب على الوالد أن يحسن تربية البنت وتأديبها وتعليمها.

(٢) ينفق الوالد عليها ويؤدي إليها حقوقها كاملة حسب استطاعته.

(٣) يجب على الوالد عدم تفضيل أحد من البنين عليها في المعاملة.

(٤) يعاملها والدها بلطف ولين ويتجنب استخدام العنف معها.

(٥) يجب على الوالد أن يُحسن اختيار الزوج الصالح والمناسب لابنته.

(٦) يجب على الوالد عدم إجبار ابنته على الزواج بشخص لا تريده.

(٧) تكرار زيارة الوالد لابنته في بيتها بعد الزواج. (من الهدي النبوي- محمد عفيفي- صـ٣٩٠)

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمَّد، وعلى آله، وأصحابه، والتَّابعين لهُم بإحْسانٍ إلى يوْم الدين.

الضوابط الشرعية للاتصالات الهاتفية

الحمدُ للهِ مُنَزِلِ الشرائع والأحكام، وجاعل سُنَّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم مبيِّنةَ للحلال والحرام، والهادي مَن اتَّبعَ رضوانَه سُبُل السَّلام، وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادة تحقيقِ على الدوام، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، أرسلَه رحمةً للأنام، وعلى آله وصحبِه الكرام. أما بعد: فإن الهاتف (التليفون) نعمة من نعم الله عز وجل لا بد أن نستخدمها في الخير، وهناك ضوابط يجب مراعاتها:

إعداد د. عبد القادر فاروق

١- البساطة في اقتناء أجهزة المحمول والبعد عن المغالاة والرياء والسمعة، وتكليف الإنسان نفسه أكثر من طاقتها؛ فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: " مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إلاَّ بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَان يُنَادِيَان إِنَّهُمَا يُسْمِعَان مَنْ عَلَى الأَرْض غَيْرَ الثَّقَلَيْن: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كثر وأَلْهَى، وَلاَ آبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إلاَّ بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَان يُنَادِيَان: اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا" أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٣-١٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١-٤٠٨ برقم ٤٤٣.

٢- التأكد من صحة الرقم أولاً حتى لا تزعج مريضًا أو تقلق نائمًا.

٣- مراعاة وقت الاتصال فاذكر أن للناس أشغالاً وأوقاتًا لطعامهم وراحتهم ووقت الاتصال يقاس على وقت الزيارة.

٤- لو دق الهاتف أثناء حديثك مع آخر؛ فعليك أن تستأذنه قبل أن ترد على الهاتف.

٥- احذر الإفراط والمبالغة في مرات الاتصال، وأحسن الظن بأخيك المسلم فقد يكون نائمًا وقد يكون مشغولاً.

٦- مراعاة مدة الاتصال ومقياسها (لكل مقام مقال، ولكل حدث حديث، ولكل مقال مقدار) والضرورة تقدر بقدرها؛ فابتعد عن الثرثرة التي لا تفيد واشغل وقتك بالطاعة وذكر الله تعالى.

٧- على المتصل أن يُعرِّف بنفسه فيقول أنا فلان أو معك فلان.

٨- سكوت المتصل عندما يطلب الآخرين فيه سوء أدب؛ فبعضهم اذا وجد امرأة تكلم واذا وجد رجلاً لم يتكلم ويغلق الخط.

٩- البدء بتحية الإسلام (السلام عليكم) والنهاية بها أيضًا بدلاً من استعمال كلمة (ألو) فإلقاء السلام فيه حسنات كثيرة؛ فعَنْ عِمْرَانَ بنِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْه ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: " عَشْرٌ ". ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله، فَرَدَّ عَلَيْه ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: " عِشْرُونَ ". ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ فَرَدَّ عَلَيْه، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: " ثَلَاثُونَ "، أَيْ: بِكُلِّ لَفْظ عَشْرُ حَسَنَات. أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الكلم الطيب ص١٥٥.

١٠- مراعاة خفض الصوت وعدم رفع الصوت والصراخ في التليفون، قال تعالى (وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ » سورة لقمان الآية (١٩).

فائدة: أكبر عالم أصوات يهودي يعيش في أمريكا أسلم بسبب هذه الآية عندما قام بعمل معدل للتردد لجميع الأصوات فوجد أن أكبر معدل للتردد هو صوت الحمار.

١١- المرأة لا ترفع سماعة التليفون العادي في وجود رجل، والزوجة لا ترد على المكالمات القادمة على تليفون زوجها لما فيه من الحفاظ علي حيائها وعفتها وتبتعد عن الاسترسال في الكلام ولا ترد إلا للضرورة منعًا للفتنة، وسدًا لذريعة الفساد.

قال الله تعالى لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وأمهات المؤمنين أطهر هذه الأمة قلوبًا رضي الله عنهن جميعًا: (يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) (سورة الأحزاب الآيات من ٣٢-٣٤).

وعَنْ أُسَامَةَ بْن زَيْد رَضيَ الله عَنْهُمَا، عَن النَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدي فتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَال منَ النِّسَاء» أخرجه البخاري ومسلم.

وعَنْ أَبي سَعيد الخُدْريِّ، عَن النَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: «إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضرَةٌ، وَإنَّ الله مُسْتَخْلفُكُمْ فيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإنَّ أَوَّلَ فتْنَة بَني إسْرَائيلَ كَانَتْ في النِّسَاء» أخرجه مسلم. وَفي حَديث ابْن بَشَّار: «ليَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ».

١٢- التحلي بأدب التخاطب والحوار،

والبعد عن السّبّ والشتم، وعدم التكبر والتعالي على الناس واحتقار البسطاء. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) سورة الحجرات الآية (١٣).

١٣- يحرم شغل وقت الانتظار (الكول تون) بالقرآن؛ لأن القرآن أعظم من أن يكون نغمة للمحمول أو أن يشغل به وقت الانتظار لأنه قد تنقطع الآية أو الذكر عند كلمة لا يَحْسُن الوقوف عليها، وكذلك لا يجوز شغل وقت الانتظار بغناء أو موسيقى لأن الغناء والموسيقى محرمة.

١٤- عدم استخدام تليفون العمل في حاجة خاصة؛ فلا يستخدم تليفون العمل إلا في العمل فقط.

١٥- احذر من تتبع هواك في سؤال العلماء فبعض الناس يسأل هذا، ويأخذ من هذا، ويرد على ذاك ويجادل أهل العلم ويضرب كلام بعضهم ببعض. قال الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) سورة الجاثية الآية: ٢٣.

١٦- احذر تسجيل كلام المتكلم بدون إذنه وعلمه، بل بعضهم يسجل للعلماء وينشر كلامهم ويتصرف بالزيادة والنقص؛ وهذا من الخيانة.

١٧- احذر جهاز التنصت والتجسس على المكالمات؛ لأن من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون يُصبّ في أذنيه الرصاص المذاب يوم القيامة.

١٨- المحافظة على أسرار الناس وعدم كشفها؛ فقد يتصل بك زميلك فتقول لك زوجتك من هذا؟ فتقول هذا فلان يطلب مني قرضًا أو معه مشكلة مع زوجته.............

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ» أخرجه أبو داود، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/٨١.

١٩- المعاكسات في التليفون محرمة، وبعضهم يتسلى بأذية الناس، والعياذ بالله.

٢٠- احذر الكذب فبعضهم يقول أنا في البيت وهو ليس كذلك، والكذب من الكبائر، ويهدي إلى النار.

٢١- احذر الشات (وهو مكالمة البنات عبر الإنترنت)؛ فهي خلوة محرمة لا تجوز وتؤدي إلى شر عظيم وفساد كبير.

٢٢- احذر سعار الاتصال (بعض الناس يستيقظ من نومه ويفتح أجندة التليفونات، ويتصل بهذا في البيت، ثم يتصل بهذا في العمل يرفه عن نفسه، ويلقي بأذاه على الآخرين ويشغلهم ويعطلهم).

٢٣- احذر الهاتف الوهمي، ومعناه أن البعض يريد من الناس أن يحترموه فيوهمهم وهو جالس معهم أن الوزير الفلاني أو الرجل الشهير فلان يتصل عليه، وهذا ليس حقيقيًا، لكن من باب الرياء والسمعة.

٢٤- احذر الهاتف السيئ فبعض الناس يُقلّد مجرمًا أو بلطجيًا في صوته، ولو من باب المزاح، ويُدْخل الرعب والخوف على الآخرين؛ فعَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبي لَيْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسيرُونَ مَعَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَنَامَ رَجُلٌ منْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لمُسْلمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلمًا» رواه

أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٧٦٥٨.

٢٥- احذر الكلام في التليفون أثناء قيادة السيارة؛ فالقيادة تحتاج إلى تركيز، وقد لا يتحمل الإنسان خبرًا محزنًا أو مفرحًا، ويتسبب هذا في الحوادث، وإن كان لا بد فيوقف سيارته على جنب الطريق ويتكلم.

٢٦- احذر تصوير النساء لبعضهن في الأفراح؛ فهذا فيه عُرضة لنشر الصور والاطلاع عليها من غير المحارم، وهذا يؤدي إلى فساد كبير.

هذا السلوكُ عواقبُه وخيمةٌ، والله المستعانُ؛ لهذا نرجو أنْ يخصصَ موضوعٌ لتعليم الإخوة والأخوات كيفية إتلاف الصور قبلَ حذفها؛ لأنَّ حذفَها مباشرةً غيرُ مأمونٍ؛ حيثُ يستطيعُ البعضُ استعادتَها ولو بعدَ حينٍ.

وكذلك: منْ سبقَ لهمْ أنْ حفظوا صورًا في أجهزتهمْ، لا يُنصحُ ببيع الجهاز بعدَ استعماله، أو استبداله من عند البائع؛ لوجود خطر استعادة تلك الصور والوقوع في الحرج، خاصةً أجهزة النساء. هذا والله أعلى وأعلمُ.

٢٧- عدم التوسع في مسألة التصوير، فبعض الناس يُصوّر نفسه أمام الكعبة، ويجعل الكعبة المشرفة خلفية وبعضهم يصور نفسه وهو يطوف.... حتي وضع صورة البنت أو الزوجة على الهاتف ليست بضرورة.

٢٨- احذر من التشويش على المصلين بالمحمول؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنَّ المُصلي يُناجي ربَّهُ فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُنَاجِيه به، ولاَ يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بالقِرَاءَةِ» أخرجه البخاري. وإذا كان هذا بالنسبة للقرآن الكريم، فما بالك بنغمات التليفون المحمول؟!

٢٩- عليك بوضع الجرس العادي الذي ينبهك أن فلانًا يتصل عليك بعيدًا عن النغمات الموسيقية المحرمة؛ كما أفتى بذلك هيئة كبار العلماء.

٣٠- لا بد من مراقبة تليفونات الأسرة (الزوجة والأولاد)؛ فهذا حق رب الأسرة؛ لأنه يُحاسَب عليهم فقد يرى أرقامًا لرجال أجانب مع زوجته أو مع ابنته أو يرى أرقامًا لبنات مع أولاده الذكور، وقد يرى صورًا محرمة؛ فلا بد من المراقبة والمتابعة.

٣١- احذر المضرة الصحية فالموجات الكهرومغناطيسية المنبعثة من المحمول تؤدي إلى تلف خلايا المخ وأمراض أخرى، والتليفون له أضرار كثيرة على الإنسان. فلا تكثر من الكلام، بل قال المتخصصون: لا يضع الهاتف في المكان الذي يريد أن ينام فيه، ولا يضعه بجوار القلب أو الدماغ.

٣٢- من كان معتكفًا فعليه أن يحذر استخدام المحمول ويُضيع اعتكافه بدلاً من أن ينشغل بالطاعات ولا يتكلم إلا لضرورة شديدة

٣٣- احذر التبذير والإسراف في الإنفاق على مكالمات المحمول أنت وأسرتك وسوف يحاسبك الله على مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته.

٣٤- احرص على استخدام المحمول في الخير، وصلة الرحم، وزيارة المريض، ولا تحرم نفسك من أجر نقل الخطى لصلة الرحم وزيارة المريض. وعليك أن تُذكر غيرك بمحاضرة لعالم أو صيام الاثنين والخميس، أو الأيام القمرية (١٣،١٤،١٥) من الشهر الهجري و.....

وهناك رسالة جميلة للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد بعنوان "أدب الهاتف" أنصح بقراءتها؛ فهي مهمة في هذا الباب.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القصة الجامعة لفضائل يوم عاشوراء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص. وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد: **الشيخ علي حشيش**

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة

١) هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة جمع متنه فضائل لا يصح منها شيء، وعلى سبيل المثال لا الحصر- كما سنبين في المتن-:

أ) فعن التوسعة يوم عاشوراء جاء في المتن: «وسعوا على أهليكم في عاشوراء فإنه من وسع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته».

ب) وعن إحياء ليلة عاشوراء جاء في المتن: «من أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله مثل عبادة أهل السماوات السبع».

ج) وعن الصلاة يوم عاشوراء جاء في المتن: «من صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة: الحمد مرة، وخمسين مرة قل هو الله أحد غفر الله له ذنوب خمسين عامًا ماضية، وخمسين عامًا مستقبلة، وبنى الله له في الملأ الأعلى ألف منبر من نور».

د) إلى غير ذلك من الفضائل التي سنبينها في المتن من فضل الاكتحال يوم عاشوراء، وفضل الاغتسال والتزين يوم عاشوراء.

٢) واشتمال الحديث الذي جاءت به هذه القصة على هذه المجازفات التي ذكرنا بعضها يدل على أن هذا الحديث كذب مختلق مصنوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٣) ولهذه الأسباب والمجازفات قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» فصل (٢٧): «والأحاديث التي فيها الاكتحال يوم عاشوراء، والتزين والتوسعة والصلاة فيه، وغير ذلك من فضائل لا يصح منها شيء، ولا حديث واحد، ولا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شيء غير أحاديث صيامه، وما عداها فباطل ومن وضع الكذابين».

ثم يقول الإمام ابن القيم: «وقابلهم آخرون فاتخذوا يوم عاشوراء يوم تألم وحزن، والطائفتان مبتدعتان خارجتان عن السنة».

ثم يقول الإمام ابن القيم: «وأهل السنة يفعلون يوم عاشوراء ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصوم، ويجتنبون ما أمر الشيطان به من البدع». اهـ.

٤) وهذه القاعدة التي ذكرها الإمام ابن

القيم في أحاديث يوم عاشوراء جاءت من تحليل الأسانيد ونقد المتون، وسنبين نقد أئمة الحديث لمتن هذا الحديث.

وقد يظن من لا دراية له أن ذكر هذه الأسباب التي بها يستبين عدم صحة المتن أمر هين، ولكنه من أقوى الردود على مزاعم المستشرق «شاخت» الذي عمل أستاذًا زائرًا في الجامعة المصرية بالقاهرة عام (١٩٣٠م)، ثم عاد إليها في سنة (١٩٣٤م)، وعمل بها حتى سنة (١٩٣٩م) ومن مزاعمه:

«ما ادعاه- جهلاً وبهتانًا- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي، أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي وهو نقد المتن». اهـ.

قلت: وهذا من جهله حتى بتعريف علم الحديث دراية؛ حيث قال الإمام السيوطي في «الألفية»:

علم الحديث ذو قوانين تحد
يُدرى بها أحوال متن وسند

بل ولم يدر كتب الأئمة التي نقدت المتن ونبهت على أمور يُعرف بها كون الحديث غير صحيح؛ منها كتاب الإمام ابن القيم «المنار المنيف»؛ حيث بوّب بابًا يتكون من عدة فصول عنون له: فقال: «التنبيه على أمور كلية يُعرف بها كون الحديث موضوعًا». وبينا فيها ما ذكرناه آنفًا من المجازفات في فضائل يوم عاشوراء، ومنها أيضًا ما جعله فضلاً تحت هذا الباب عنون له فقال: ومنها تكذيب الحس له كحديث ح (٥٨): «إن الله خلق السماوات والأرض يوم عاشوراء». اهـ كما سنبينه في مثل هذه القصة.

ثانيًا: المتن

روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى افترض على بني إسرائيل صوم يوم في السنة يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرم- فصوموه، ووسّعوا على أهليكم فيه، فإن من وسّع على أهله من ماله يوم عاشوراء، وسّع عليه سائر سنته، فصوموه فإنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم، وهو اليوم الذي رفع الله فيه إدريس مكانًا عليًا، وهو اليوم الذي نجّى فيه إبراهيم من النار، وهو اليوم الذي أخرج فيه نوحًا من السفينة، وهو اليوم الذي أنزل فيه التوراة على موسى، وفيه فدى الله إسماعيل من الذبح، وهو اليوم الذي أخرج الله فيه يوسف من السجن، وهو اليوم الذي رد الله على يعقوب بصره، وهو اليوم الذي كشف الله فيه عن أيوب البلاء، وهو اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت، وهو اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل، وهو اليوم الذي غفر الله لمحمد ذنبه ما تقدم وما تأخر، وفي هذا اليوم عبر موسى البحر، وفي هذا اليوم أنزل الله التوبة على قوم يونس. فمن صام هذا اليوم كانت له كفارة أربعين سنة، وأول يوم خلق الله من الدنيا يوم عاشوراء، وأول مطر نزل من السماء يوم عاشوراء، وأول رحمة نزلت من السماء يوم عاشوراء؛ فمن صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله، وهو صوم الأنبياء، ومن أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله تعالى مثل عبادة أهل السماوات السبع، ومن صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة: الحمد مرة وخمسين مرة قل هو الله أحد غفر الله خمسين عامًا ماضية، وخمسين عامًا مستقبلة، وبنى الله له في الملأ الأعلى ألف منبر من نور، ومن سقى شربه من ماء فكأنما لم يعص الله طرفة عين، ومن أشبع أهل بيت مساكين يوم عاشوراء، مر على الصراط كالبرق الخاطف، ومن تصدق بصدقة يوم عاشوراء فكأنما لم يرد سائلاً قط، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض مرضًا إلا مرض الموت، ومن اكتحل يوم عاشوراء لم ترمد عينيه تلك السنة كلها، ومن أمرّ يده على رأس يتيم فكأنما برّ يتامى ولد آدم كلهم، ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب عشرة آلاف ملك، ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب ألف حاج ومعتمر، ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب ألف شهيد، ومن صام يوم عاشوراء كتب له أجر سبع سماوات، وفي يوم عاشوراء خلق الله السماوات والأرض والجبال والبحار، وخلق العرش يوم عاشوراء،

وخلق القلم يوم عاشوراء، وخلق اللوح يوم عاشوراء، وخلق جبريل يوم عاشوراء، ورفع عيسى يوم عاشوراء، وأعطى سليمان الملك يوم عاشوراء، ويوم القيامة يوم عاشوراء، ومن عاد مريضًا يوم عاشوراء، فكأنما عاد مرضى ولد آدم كلهم». اهـ.

ثالثًا: التخريج

١) هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة: أخرجه الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥١٠ هـ - ٥٩٧ هـ) عن شيخه ابن ناصر.

قال الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٤/ ط١٧/ ١٠٩٨): «لما ترعرع ابن الجوزي حملته عمته إلى الحافظ ابن ناصر فاعتنى به وأسمعه الكثير». اهـ.

وقال الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٤/ط ١٦/١٠٧٩) في ترجمة الحافظ محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر أبي الفضل: «قال ابن الجوزي: تولى الحافظ ابن نصر تسميعي وسمعت بقراءته بسند أحمد والكتب الكبار، وعنه أخذت علم الحديث». اهـ.

قلت: ولقد أخذ هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة عنه.

حيث أخرجه الإمام ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» (١٩٩/٢) فقال: حدثنا أبو الفضل محمد بن ناصر من لفظه وكتابه مرتين قال: أنبأنا أحمد بن الحسين بن قريش، أنبأنا أبو طالب محمد بن علي بن الفتح، وقرأت على أبي القاسم الحريري، عن أبي طالب العشاري، حدثنا أبو بكر أحمد بن منصور البرسري، حدثنا أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد، حدثنا إبراهيم الحربي، حدثنا سريح بن النعمان، حدثنا ابن أبي الزناد، عن ابيه عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا.

رابعًا: التحقيق

١) قال شيخ الإسلام في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» ص (٣٠١): «وضعت في يوم عاشوراء أحاديث مكذوبة في فضائل ما يُصنع فيه من الاغتسال والاكتحال وغير ذلك، وصححها بعض الناس كابن ناصر وغيره، وليس فيها ما يصح». اهـ.

٢) ولقد رد الإمام ابن الجوزي على شيخه ابن ناصر بعد أن أخذ هذا الحديث عنه كما بيَّنَّا آنفًا قال: «هذا حديث لا يَشك عاقل في وضعه، ولقد أبدع من وضعه وكشف القناع ولم يستحي وأتى فيه بالمستحيل كقوله: وأول يوم خلق الله من الدنيا يوم عاشوراء. وهذا تفضيل من واضعه؛ لأنه يسمى يوم عاشوراء إذا سبقه تسعة، وفيه من التحريف في مقادير الثواب الذي لا يليق بمحاسن الشريعة، وكيف يحسن أن يصوم الرجل يومًا فيعطي ثواب من حج واعتمر وقيل شهيدًا، وهذا مخالف لأصول الشرع، ولو ناقشناه على شيء بعد شيء لطال، وما أظنه إلا دسّ في أحاديث الثقات، وكان مع الذي رواه نوع تغفل، ولا أحسب ذلك إلا من المتأخرين». اهـ.

٣) وأورده الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» ص (٩٦) وقال: «رواه ابن ناصر عن أبي هريرة مرفوعًا وساقه في اللآلئ مطولاً، وفيه من الكذب على الله وعلى رسوله: ما يقشعر له الجلد فلعن الله الكذابين، وهو موضوع بلا شك». اهـ.

٤) وأورد حديث القصة أيضًا ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة» (١٥٠/٢): ونقل أن الذهبي قال: «أدخل هذا الحديث على أبي طالب العشاري، فحدث به بسلامة باطن، وفي سنده أبو بكر النجاد، وقد عمي بآخره، وجوَّز الخطيب أن يكون أُدخل عليه». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد **الشيخ علي حشيش**

(٩٧٩): «أفضل المؤمنين رجل سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء، سمح الاقتضاء».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/٢١) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧)، وقال: «طس عن أبي سعيد».

قلت: «طس»: ترمز إلى «المعجم الأوسط للطبراني».

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه حديث «موضوع».

فائدة: وحتى يقف القارئ الكريم على معرفة هذا المصطلح لا بد من بيان معناه الاصطلاحي: «الموضوع»: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شرّ الضعيف وأقبحه، ويحرم روايته في أي معنًى كان، سواء الأحكام، والقصص، والترغيب، وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه، كذا في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١) للإمام السيوطي.

أولا: التخريج

الحديث أخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٧/٨) ح(٧٥٤٠)، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم قال: حدثنا الشاذكوني، قال: حدثنا سلم بن قتيبة، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الله الهدادي -وكان ثقة- عن أبي العلاء سمعت أبا سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل المؤمنين ...» الحديث. ثم قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن أبي العلاء - وهو يزيد بن عبد الله بن الشخير- إلا عبد الله بن عبد الله الهدادي تفرد به الشاذكوني». اهـ.

ثانيا: التحقيق

١) يتبين مما قاله الإمام الطبراني أن هذا الحديث: «غريب» وكذلك يتبين من قوله تفرد به الشاذكوني أن الشاذكوني ليس له متابع.

٢) والشاذكوني هو علة هذا الحديث: واسمه سليمان بن داود المنقري الشاذكوني البصري أبو أيوب.

٣) في «سؤالات أبي إسحاق إبراهيم بن الجنيد للإمام يحيى بن معين» رقم (٣٦) قال: «سمعت يحيى بن معين وذكر ابن الشاذكوني فقال: يكذب، ويضع الحديث». اهـ.

٤) ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٤٥١/٢٠٥/٢): قول الإمام ابن معين، وقول الإمام أبو حاتم وأقرهما. ونقل أن الإمام النسائي قال: «ليس بثقة»، ونقل أن صالح بن محمد الحافظ قال: «كان يكذب في الحديث». ونقل أن الإمام البخاري قال: «فيه نظر». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه قال الإمام ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» ص (٨٩): «اصطلاحات لأشخاص ينبغي التوقف عليها: من ذلك أن البخاري إذا قال: في الرجل: «سكتوا عنه» أو «فيه نظر» فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها عنده، ولكنه لطيف العبارة في التجريح: فليعلم ذلك». اهـ. نعم علمت بالمقارنة من قول الإمام ابن معين، ومن قول الإمام أبي حاتم.

وبتطبيق أقوال هؤلاء الأئمة في الشاذكوني، ثم تطبيقها على مصطلح الحديث الموضوع، تنطبق عليه تمام الانطباق.

التحذير من الشرك في العمل

«ضرب مثل فاستمعوا له».

«إنَّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن الأساليب العظيمة التي تضمَّنها كتابُ الله العزيز بيانًا للتوحيد وأمرًا به، ونبذًا للشرك وتحذيرًا منه؛ أسلوبُ ضرب الأمثال التي تُخاطب العقول لتجلية الحسَن وتشبيهه بأحسن التشبيهات، والتَّنفير من القبيح وتشبيهه بأقبح التشبيهات؛ لتُدرك القلوبُ الواعية ذلك البونَ الشاسع بين الأمرين، والفرقَ الواسع بين الحالَين والضدَّين.

ومما يؤكِّد على أهميَّة هذا الأسلوب الذي طالما اعتَنَى به العربُ؛ قول الماوردي في (أدب الدنيا والدين) ص٢٩٤: "وللأمثال من الكلام موقعٌ في الأسماع، وتأثيرٌ في القلوب، لا يَكادُ الكلامُ المرسَل يبلُغ مَبلغَها، ولا يؤثِّرُ تأثيرَها؛ لأن المعانيَ بها لائحة، والشواهدَ بها واضحة، والنفوسَ بها وامقة، والقلوبَ بها واثقة، والعقول لها موافقة؛ فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه وجعلَها من دلائل رسله، وأوضَحَ بها الحُجَّةَ على خلقه لأنها في العقول معقولة وفي القلوب مقبولة".

ولما كانت الأمثالُ وضربُها بهذه المكانة، كان اعتناء القرآن بها أيَّما عناية!، ومما زاد من أهميتها: أن الله امتدَح مَنْ عقَلَ الأمثال الواردة في كتابه الكريم، فقال: « وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ » (العنكبوت: ٤٣) . ولك أن تتأمل معي في نبذ الشرك ومحاجة أهله:

١-ضرب المثل لمن اتَّخذ من دون الله إلهًا يستمد منه العون؛ بالعاجز عن خلق ذبابة بل حتى عن الذبِّ عن نفسه:

وذلك قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ » (الحج: ٧٣).. لترى بنفسك أطرفَ وأدقَّ مثلٍ في تصوير من يتخذه الناس سندًا وغوثًا في شؤونهم، وهو أضعف من ذبابة.

على أن المثل هنا عام والخطاب فيه مُوجَّه للناس كافَة، ويشمل كل من جعل لله ندًا واتخذ مع الله أو من دونه إلهًا آخر.. والمعنى: انصتوا أيها الناس إلى هذا المثل وتدبروا مراده وتفهَّموا مرماه، لتسيروا في حركتكم على هدى ولتقفوا على ما جاء فيه، وعلى وفْق ما فهمتم من مغزاه، إن الذين تعبدونهم وتتجهون إليهم من دون الله «لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا..» وهو من أصغر المخلوقات؛ ولو تضافرَتْ جهودهم وأجمعوا عليه أمرَهم، وهذا ترقٍّ في التحدي، كأنه قال: يستحيل أن يخلقوا الذباب حال اجتماعهم فكيف حال انفرادهم؟.

وقوله تعالى: «لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا» جاء بنفي المستقبل، فهم ما استطاعوا في الماضي، ولن يستطيعوا فيما بعد؛ حتى لا يَظن أحدهم أو جماعتهم أنهم ربما

تمكنوا من ذلك في مستقبل الأيام، والوجه في التعبير بـ(لن) التي تفيد التأبيد: أنك قد تترك الفعل مع قدرتك عليه، وحين تُتحدى به تفعل لتردَ على هذا التحدي، فأوضح لهم سبحانه أنهم لم يستطيعوا ذلك قبل التحدي، ولن يستطيعوه بعد التحدي.

وقد سبق بيان أن من عجز عن الخلق وهي صفة ربوبية وقد اعترفوا بها: لا يصلح ولا يستحق أن يكون إلهًا يُقصد في الملمَات وقضاء الحاجات، وإلا فكيف بالله يَخلق ويُعبد سواه؟.. ومن هنا ساغ سؤال التنزيل: «أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ»؟ (الأعراف: ١٩١)، «أفمن يخلق كما لا يخلق أفلا تذكرون»؟ (النحل: ١٢٧).

وحتى لا يقول قائل: إن مسألة الخَلق هذه مسألة صعبة لا يُتحدى بها، فقد تحداهم بما هو أسهل من الخَلق، فقال: «وإن يَسْلُبْهُمُ الذباب شيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ منْهُ..»، والمعنى: وهل يستطيع أحد من تيك الآلهة التي ألهتموها أن يُعيد ما أخذه الذباب من طعامه علي جناحيه أو رجله أو خرطومه؟.. وهذا ترقٍ في التحدي فوق الترقي، وقد كانوا في الجاهلية الأولى - كما هو في الجاهلية الآخرة - يذبحون القرابين عند الأصنام، ويضعون أمامها الطعام ليباركوه، فكانت الدماء تسيل عندها وتتناثر عليها، فيحط عليها الذباب، ويأخذ من هذه الدماء، فتحداهم أن يعيدوا من الذباب ما أخذه.

وهذه مسألة أسهل من مسألة الخلق، لكن مع ذلك لم ولن يقووا عليها؛ لذلك قال تعالى بعدها: «ضَعُفَ الطالب والمطلوب» يعني: كلاهما ضعيف، فعابدوا غير الله ضعفاء، والمطلوب وهو الوثن وما شابه: هو في ذاته وبطبيعة الحال ضعيف، بدليل أنهم لن يقدروا على استلاب ما أخذته الذبابة من طعامهم، فكيف يتخذ غير الله مقصودًا يُستمد منه العون والمدد؟!.

"فتأمل هذا المثل - الذي أمر الله الناس كلهم باستماعه، بحيث مَن لم يسمعه فقد عصى أمره - كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأوضح برهان في أوجز عبارة وأحسنها، وكيف سجَل على جميع ما اتُخذ مع الله أو من دونه من آلهة تُعبد، أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد، وعاون بعضهم بعضًا لعجزوا عن خلق ذبابة واحدة، ثم بيَن عجزهم وضعفهم على استنقاذ ما يسلبهم الذباب إياه حين يسقط عليهم، فأقام تعالى حجة التوحيد؛ وبيَن ذلك بألفاظ لم يَشبها غموض ولم يَشنها تطويل ولم يَعبها تقصير، بل بلغت في الحسن والفصاحة والبيان والإيجاز ما لا يتوهمه متوهم ولا يظنَ ظان أن يأتي بأبلغ في معناها منها، وتحتها من المعنى الجليل القدر العظيم الشأن البالغ في النفع ما هو أجل من الألفاظ" إ.هـ من مختصر الصواعق ص٧٤ بتصرف.

على أن المثل يُشبِه من طرف خفي هذا الذي اتخذه الناس من أصحاب القبور سندًا يطلبون منه المدد ويستمدون منه العون: بالأصنام، فهم كذلك عاجزون عن خلق ذبابة، بل عن استرداد ما يأخذه الذباب من طيوب ضمُخوا بها، ودهون مُسحوا بها، فما أسفه من يعبدونهم!، وما أجهل من يستنجدون بهم!، ومثلهم في الحكم مثل من يتخذ من شِرار الناس وفاسدي العقيدة أئمة، ومن يعتقد أن ضُلَالهم من السدنة هداة.. ولك أن تتأمل كذلك:

٢- ضرب المثل لمن اتخذ من دون الله إلها يستمد منه العون؛ بمن اتخذ من بيت العنكبوت بيتا؛ وذلك قوله تعالى:

«مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (العنكبوت: ٤١)، وفيه دحضُ من يتخذ من دون الله إلها ومعبودًا، فقد شبَهه بالعنكبوت التي اتخذت بيتًا والتي يدور عليها أمر التشبيه، ولا يخفى على أحد أن بيت العنكبوت ضعيف هشٌ .. فالمثل بهذا: يشير إلى جانب ضعف حال المشركين: إلى: ضعف الآلهة والأولياء الذين يقصدونهم ويقصدونها من دون الله: ليثبت أنها وهُم: من الضعف بمكان، ولعل هذا هو الوجه في

اختيار تأنيث العنكبوت لبيان مدى الخَور والضعف فيما يُتَّخذ من دون الله أيًا ما كان .. يقول الزمخشري: "إن كان المتمثَّل له عظيمًا كان المتمثَّل به مثله، وإن كان حقيرًا كان المتمثل به كذلك، وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، وعليه فقد تبين أن دين المشركين أوهن الأديان لو كانوا يعلمون".

٣- ضرب المثل لمن اتّخذ من دون الله إلها يستمد منه العون: بباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه:

وقد بين اللّٰه ذلك بمثل آخر قال فيه: «لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ» (الرعد: ١٤)، والقرآن هنا يضرب هذا مثلًا لحال عبَدة الأوثان والأضرحة، ونحوهم ممن يتضرعون إلى غير الله، طالبين منها ما يرجون حصوله وتحقيقه من الشئون بلا محصلة.. وضرب الله هذا المثل لتذميم حالتهم وتحقير اعتقاداتهم حتى يخرجوا من نير جهالتهم، وإلى ذلك أشار السيوطي في الإتقان بقوله: "وتأتي أمثال القرآن مشتملة على المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب؛ وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله".

٤- ضرب المثل لمن اتّخذ من دون الله إلها يستمد منه العون: بمن اتخذ عبدين أحدهما لا يقدر على شيء والآخر على عكسه ويريد أن يسوي بينهما:

وذلك قوله تعالى: «ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ» (النحل: ٧٥).. وفيه بيان إحالة المقايسة بين: الصنم العاجز والقبر -مضرب المثل في الصمت- وبين الخالق القادر مجيب المضطر إذا دعاه وكاشف السوء، أو بين الأمة المستعبدة المقيدة، والأمة الحرة الطليقة المالكة نفسها.. صورة كلها بيان ودقّة في إظهار البون الشاسع بين الحالين، ليدرك ذو اللب أيّ الفريقين أحقّ بالاعتبار.. وقد تلت هذه الآية آية أخرى مؤكدة ومؤيدة لهذا المعنى وفيها: «وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (النحل: ٧٦).

و(الكَلّ): هو: الثقيل لا خير فيه، يقال: (كلّ عن الأمر) أي: ثقل عليه فلم ينبعث فيه .. وفي هذا المثل: إحالة الموازنة بين الفَدْم البليد العاجز العالة على غيره، وبين المصلح المستقيم اللامع، وفيه يصوِّر القرآن للذّهن شخصين؛ جمعَ أحدهما إلى جانب العجز: البكم والبطاءة وثقل الطبع على من يعتمد عليه، بحيث لا يأتي له بخير في أيّ عمل يوجهه إليه، وصوّر الآخر على أنه شخصٌ مصلحٌ يسير على هدى من ربه وعلى نهج مستقيم؛ يأمر الناس بالأخذ بالعدل في أعمالهم وتصرّفاتهم .. ثم يطلب منك الأحمق الأكتع الأخرق الخرف، فاقد العقل المشرك المضروب له المثل: أن توازن بينهما في المماثلة والمساواة.

٥- ضرب المثل لمن اتّخذ من دون الله إلها يستمد منه العون: بمن تخطفته الطير أو هوت به الريح في مكان بعيد:

وذلك قوله بحق من لم يعظم حرمات اللّٰه: «وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ» (الحج: ٣١) يقول تعالى: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان وقول الشرك، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصًا دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئًا من دونه، فإنه من يُشرك بالله شيئًا من دونه، مثله في بُعده من الهدى وإصابة الحقّ وهلاكه وذهابه عن ربه، مَثل من خرّ من السماء فتخطفته الطير فهلك، أو هوت به الريح في مكان سحيق.

٦- ضرب المثل لمن اتّخذ من دون الله إلها يستمد منه العون: بمساواة من له من الأموال ما له: بمملوكيه:

وفيه يقول تعالى: «ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ» ■

(الروم: ٢٨). والمعنى: إنكم لا تسلمون بأن يكون لمملوكيكم شركة معكم في أموالكم وأرزاقكم، ولا تعتبرونهم سواء معكم فيهما، فيلاحظونهما كما تلاحظون أنفسكم فيهما، وإنكم لا ترضون بذلك، فينبغي أن يكون الأمر كذلك في الله مع عباده، فلا يجوز أن يكون لأحد من عباده شركة معه في شيء من مُلكه، فما لا ترونه صحيحًا فيكم كيف يجوز لكم أن تروه صحيحًا في حقّ الله؟! والصورة التي لا تستبيحونها لأنفسكم كيف لكم أن تستبيحوها في حقّه تعالى؟، والحال التي لا ترضونها لأنفسكم كيف ترضونها له، مع علمكم حقيقة أنه تعالى لا شريك لله في ملكه؟.

٧- ضرب المثل لمن اتخذ من دون الله إلها يستمد منه العون، بالمنافق المرتبط بجهات مختلفة يعجز عن التوفيق بينها:

وذلك قوله تعالى: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (الزمر: ٢٩)..

وفيه تشبيه حال المشرك الذي يعبد آلهة متعددة متنازعة متغالبة، بحال عبد له أكثر من سيد يخدمه ويطيعه، فكل واحد منهم يأمره بما لا يأمره به الآخر، فبعضهم يقول له: افعل، وبعضهم يقول له: لا تفعل، وبعضهم يقول له: أقبل، وبعضهم يقول له: لا تُقبل، ويريد كل واحد منهم أن يستخدمه لحسابه الخاص ولو كان ذلك على حساب تقصيره في خدمة الآخرين، وبالتالي فإن المهمة على هذا العبد تكون مضاعفة، فهو ضالٌ حائر في أمرهم، لا يستقر له قرار ولا يدري أيّهم يُرضي، فإن أرضى هذا أغضب ذاك، فهو لأجل هذه الحال يعيش في عذاب دائم، وتعب مستمر، وهو مع هذا لا ينال من الرضا شيئا يذكر، بل الغاضب عليه أكثر من الراضي، والذامُ له أكثر من الشاكر.

خلافًا لحال المؤمن الموحد، حيث شبه بحال العبد الذي يعمل تحت إمرة سيد واحد، فلا أمر ولا نهي لأحد عليه إلا أمر ونهي ذلك السيد، فهو مطيع له على كل حال، وهو ساع لكسب وده ونيل رضاه من غير ملال، ثم هو غير مشتت الهوى، ولا مبعثر القوى، لأن وجهته واحدة غير متعددة، ومقصوده واحد غير متناقض.

ومعلوم بالضرورة عدم استواء المقدّس لإلهه الواحد؛ والذي يتخذ لنفسه آلهة عدة، وأن بينهما تفاوتًا عظيمًا في السلوك، والتصرّف، والاستقلال، والمنزلة، فالمشرك منحطّ في هذه الأمور ونحوها عن الموحّد، وكذا المنافق بعيد فيها كل البُعد عن مقام المخلص.. يقول ابن عباس ومجاهد وغير واحد: "هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمُخلص"، ولا يمكن لعاقل أن يصرح باستوائهما، لأن أحدهما في منزلة محمودة، والآخر في منزلة مذمومة غير محسودة.

يقول الرازي: «وهذا مثل في غاية الحسن في تقبيح الشرك وتحسين التوحيد»، إذ المقصود من ضرب هذا المثل إقامة الحجة على المشركين، وتعنيفهم لأجل مواقفهم الرافضة للاعتراف بالواحد الأحد، وكشف سوء حالتهم في الإشراك.. وقوله تعالى: «هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا» إنكارٌ واستبعاد لاستوائهما ونفيٌ له على أبلغ وجه وآكده وإيذانٌ بأنَّ ذلك من الجلاء والظُّهور بحيثُ لا يقدرُ أحدٌ أنْ يتفوَّه باستوائهما أو يتلعثم في الحُكم بتباينهما، ضرورةَ أنَّ أحدهما في أعلى علّيّينَ والآخرُ في أسفل سافلينَ

وهذا المثل في نفي التسوية: يصلح مثلًا لكل متبع للحق ولكل متبع للباطل، وحاصله: أن من وحد عبوديته لله، وأخلص له في عبادته، واتبع الحق الذي أمر به، كان في الدنيا سعيدًا راضيًا، وفي الآخرة فائزًا مرضيًا، أما من أشرك مع الله آلهة أخرى، فقد ضل سواء السبيل، وعاش دنياه حائرًا غير آمن، فهو خاسر للدنيا قبل خسران الآخرة.

ولله در التنزيل!، لا يتأمل العالم به والمتدبر له آية من آياته، إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر، وتأكد له صدقًا وعدلًا أن الكتابَ المنزّلَ والعقلَ المدركَ متآخيان، وأن كتاب الله المبين هو حجته الكبرى في العالمين والى يوم الدين.. والحمد لله رب العالمين.

من أخبار الجماعة

نبذة عن مركز التوحيد بالجيزة

مركز
التوحيد

يعتبر فرع الجمعية بالجيزة ثاني فرع يشهر بعد فرع الجمعية بعابدين حيث تم إشهار الجماعة عام ١٩٢٦ وتم إشهار فرع الجيزة عام ١٩٢٧.

وكان تحت رقم ٧ جيزة، وقد تم تأسيس الفرع على يد مجموعة من المؤسسين منهم الحاج/شافعي محمد شافعي، والشيخ سيد برهام، والشيخ يوسف عبد المجيد، والشيخ فضيل عبد الرحمن، والشيخ شعبان عبد المجيد.

وكان الفرع منذ أنشئ يشرف على قرى محافظة الجيزة والتي تضم الآن الفروع الآتية: منشأة البكاري - الكنيسة- فيصل- ترسا- المنيب- كفر طهرمس- صفط اللبن.

كل هذه الفروع كانت تحت إشراف فرع

الجمعية بالجيزة، فلما كثرت الإنشاءات والأنشطة وكثرة المساجد تم إنشاء هذه الفروع، حيث كان الفرع يشرف على أكثر من ٤٠ مسجدًا من خطب ومحاضرات وندوات وتحفيظ قرآن، وإعانات للفقراء والأرامل والأيتام.

وقد قام على رأس الفرع مجموعة كبيرة من العلماء والمشايخ منهم الشيخ حسن الجنيدي، والدكتور سيد رزق الطويل، والشيخ رشاد الشافعي، والشيخ عبد الرحمن حنفي، والشيخ حلمي الدالي، والشيخ شافعي محمد، والشيخ حسن نافع، والمهندس عبد الله شافعي ورئيس الجمعية الآن الأستاذ عبد العزيز شافعي وعضو مجلس إدارة المركز العام الآن، والفرع يمتلك ثلاثة مباني تضم أنشطة الفرع:

المبنى الأول:

ويقع على مساحة (٥٠٠م٢) وبه خمسة أدوار وبه مصعد كهربائي.

الدور الأرضي ويضم حضانة للأطفال وتستوعب ١٠٠ طفل.

الدور الأول والثاني: مسجد ومصلى للنساء.

الدور الثالث: مكتبة عامة ومركز لتحفيظ القرآن الكريم وقاعة محاضرات.

الدار الرابع: مقر الفرع.

الدور الخامس: فصول تقوية لجميع المراحل التعليمية.

وعنوانه/٢٦٥ ش صلاح سالم بالجيزة.

المبنى الثاني (مركز التوحيد الطبي)

ومساحته ٢٧٠م٢ وبه ثلاثة أدوار وبه مصعد كهربائي:

الدور الأول والثاني:

مستشفى ويشمل جميع التخصصات الطبية- أسنان- جلدية- باطنة- وأنف وأذن- ونساء وتوليد... إلخ.

كما يضم معملا للتحاليل الطبية ومركزًا للأشعة ومركزًا للعلاج الطبيعي ومركز للتخاطب.

وعنوانه: ٢٦٧ ش صلاح سالم بالجيزة.

الدور الثالث:

وبه مركز للغسيل الكلوي يضم ٢٤ وحدة غسيل.

المبنى الثالث

ويقع بالقرب من ميدان الجيزة ومساحته ٤٠٠م٢ ومكون من ٥ أدوار.

الدور الأرضي: وبه جراج للسيارات.

الدر الأول والثاني: مسجد ومصلى للنساء وهو مكيف.

الدور الثالث: مؤجر لجمعية آلاء الرحمن لدفن الموتى.

الدور الرابع والخامس: تحت التشطيب.

ويقوم الفرع كذلك بمساعدة الأسر الفقيرة والأرامل والأيتام بمساعدات دائمة ومساعدات في كافة المناسبات (دخول المدارس- الأعياد) والمساعدة كذلك في تجهيز الأيتام والفقراء في إنشاء أسر جديد في إتمام الزواج ومكتب لحل المشكلات الأسرية.

نسأل الله تبارك وتعالى التوفيق والسداد.

الشيخ رشاد الشافعي

المؤسس الثاني لجماعة أنصار السنة المحمدية

(١٣٣٨ - ١٤١١هـ) - (١٩١٩ - ١٩٩٠م)

الاسم بالكامل: محمد عبد المجيد الشافعي.

مولده: ولد في ١٥/ ١٠/ ١٩١٩ بجهة منوف محافظة المنوفية.

مؤهلاته الدراسية: حصل على مؤهل تجاري، ثم أكمل دراساته فحصل على دبلوم عالٍ تعاوني من رومانيا.

عمل في أول حياته سكرتيرًا برلمانيًا لأحد الوزراء، حيث كان أحد شباب الحزب السعدي.

شغل في آخر حياته الوظيفية منصب مدير عام تموين بمحافظة الجيزة.

بعد بلوغه سن المعاش اختير رئيسًا لمجلس إدارة الجمعية التعاونية الاستهلاكية بالجيزة، وظل في هذه الوظيفة حتى وفاته.

توفي رحمة الله عليه يوم الثلاثاء الخامس من ربيع الأول عام ١٤١١هـ الساعة الحادية عشرة، وقد جهر بالشهادتين، وأوصى أبناءه بأن يصلى عليه إخوانه من أنصار السنة الذين لم يفارقوه طوال خمسين عامًا، وقد صلوا عليه في مسجد شربيه بمصر القديمة عقب صلاة العصر، وهو مدفون

بجوار مسجد الإمام الشافعي، رحمه الله.

صلته بأنصار السنة:

في عام ١٩٣٦هـ تعرف الشيخ رشاد الشافعي ومعه الشيخ عبد اللطيف حسين (وكان وكيلاً للجماعة فترة الشيخ عبد الرحمن الوكيل)، تعرف على حلقات دروس الشيخ الرمالي، رحمه الله، الذي كان مفتشا بمساجد الأوقاف، وقد كان يكثر من الحديث عن دعوة التوحيد ونصرة السنة ومحاربة البدعة، فلزمه وكان يشد من أزر صديقه وأستاذه ويقف بجواره في أزماته.

ويحكي الشيخ رشاد الشافعي عن كيفية تعرفه على فضيلة الشيخ حامد الفقي فيقول: جئت ومعي مجموعة من شباب السعديين إلى مسجد أنصار السنة نطلب التبرع، فأذن لي فضيلة رئيس الجماعة وقال لي: منبر أنصار السنة لك كلما أردت، وبعد أن ترددت على الجماعة فترة انضممت إليها وصرت من أبنائها. وقد لازم الشيخ رشاد دروس الشيخ الفقي رحمه الله وخطبه التي كان يلقيها في مسجد الهدارة أو دار الجماعة بعابدين.

وقد كان له صولات وجولات في مراجعة الشيخ ومحاورته في صحن المسجد.

ولم يكن هناك رجلين أكثر عطاء للدعوة من الشيخ عرنوس، والشيخ رشاد الشافعي، فقد كان الأول وكيلاً ومدير لمجلة الهدي النبوي، وكان الثاني سكرتيرًا عامًا ومشرفًا على الفروع، ولقد قاما رحمهما الله بجهد كبير في زيارة الفروع وتوجيه النصح لأعضائها، كما ساهما في إشهار عدد كبير من الفروع.

وإذا كان الشيخ أبو الوفاء درويش قد قال عند وفاة الشيخ عرونس: «لقد مات بموته جمع من الموهوبين»، فبوفاة الشيخ رشاد الشافعي جمع من الرجال الغيوريين المخلصين ذوي الشجاعة.

ويقول عنه الشيخ محمد علي عبد الرحيم، الرئيس العام السابق: عرفته منذ عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٢م)، وهو في ريعان شبابه يصول ويجول في الدعوة إلى التوحيد الخالص، وكان نشاطه

ملحوظًا وشجاعته الفذة عنوان صدق في ما يدعو إليه، ولذا أحسست لفقده بالحسرة واللوعة، فقد كان أشجع من اتصلت بهم من الجماعة.

كيف أعاد إشهار الجماعة مرة أخرى بعد توقفها؟

إذا كان الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس الجماعة الأول، فإن الشيخ رشاد الشافعي يعتبر مؤسسها الثاني، ذلك أنه في عهد الرئيس جمال عبد الناصر أصدر قرارًا بضم أنصار السنة المحمدية إلى الجمعية الشرعية، وذلك ليسكت قلمها ويخرس لسانها، فتعطلت الجماعة عن أداء رسالتها، وكان أشد الناس حزنًا لذلك الشيخ رشاد الشافعي، وعندما تولى الرئيس أنور السادات نشط الشيخ رشاد الشافعي واتصل به اتصالاً مباشرًا حتى أعاد للجماعة كيانها، وتولى رياستها، وذلك في عام ١٣٩٠هـ.

إصداره لمجلة التوحيد:

عمل الشيخ رشاد الشافعي على إصدار مجلة التوحيد، وقد صدرت أعدادها الأولى عام ١٣٩٣هـ، وتولى هو رياستها، وكان يكتب مقالاً عنوانه: «لماذا التوحيد»، كما كان يكتب قبل ذلك مقالات كثيرة في الهدي النبوي أبرزها ما كتب تحت عنوان: «دعوتنا الحق دعوة الحق»، نافح فيها عن الدعوة في أول عهدها.

وقد كان الشيخ رشاد الشافعي منذ أيامه الأولى في الجماعة يلقى الخطب والمحاضرات في مساجد الجماعة وفي شتى الفروع، ومع تعرضه رحمه الله إلى بعض المواقف الصعبة من بعض إخوانه إلا أن ذلك لم يصرفه لحظة واحدة عن الدعوة، بل كان أحرص الناس على الجماعة، وكان يسارع في حل أية مشكلة تتعرض لها الجماعة.

ومما يؤثر عن الشيخ رشاد الشافعي أنه عندما ترك رياسة الجماعة، ترأس مجلس إدارة فرع المنيرة، كما كان يرأس في نفس الوقت فرع الجيزة، وله في منشآت الفرع بصفات كثيرة.

مؤلفاته: لم يترك الشيخ كُتبًا، وانما ترك مقالات كان يكتبها في الهدي النبوي، ومجلة التوحيد.

يعد الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي المعروف بـ «رشاد الشافعي» (١٣٣٨-١٤١١هـ) (١٩١٩م - ١٩٩٠م) المؤسس الثاني للجماعة الذي كان يشغل منصب سكرتير عام للجماعة والمشرف على الفروع قبل تجميد نشاطها، بجانب عمله مديراً عاماً لمديرية التموين بمحافظة الجيزة، إذ بذل قصارى جهده في السعي لإعادة إشهار الجماعة مرة أخرى وقد تم له ذلك في عهد رئيس مصر السابق أنور السادات في عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٢م.

هذا وبالله التوفيق.

الحلقة الثانية

المنهل العذب الزلال في حُكم ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم من الأفعال

إعداد المستشار/أحمد السيد علي إبراهيم
نائب رئيس قضايا الدولة

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد.

أما بعدُ: فما يزال الحديث مستمرًا عن حُكم ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم من الأفعال، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

القسم الثاني: الترك التشريعي، أو البياني:

تعريفه: هو كل أمر تركه النبي صلى الله عليه وسلم، وداوم على تركه، مع وجود المقتضي لفعله والحاجة إليه، وانتفاء الموانع التي تمنعه من ذلك، مع وجود قرائن احتفت بهذا الترك تبيّن وتوضح أنَّه صلى الله عليه وسلم إنما ترك هذا الأمر بيانًا لأمَّته، وتشريعًا بأنَّ هذا الأمر لا يجوز فعله.

حكمه: الصحيح: أنَّ هذا الترك سُنَّة كالفعل سواء بسواء، وأنَّ فعْل ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم ممَّا كان على هذا الوجه المذكور، بدعةٌ وضلالة لا تجوز.

شروط الترك التشريعي:

الشرط الأول: أن يكون الترك في العبادات لا في المعاملات:

وذلك لأن الأصل في العبادات التوقف فلا يتعبد بعبادة إلا إذا أيدها الدليل، وحتى تكون محل اقتداء ومتابعة من المكلفين، بخلاف العادات والمعاملات فالأصل فيها الإباحة، فلا يحظر منها إلا ما حظره الله.

١- قال تعالى: « أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ » (الشورى: ٢١).

وجه الدلالة: أن الله لم يأذن لهم بشرعه فلا تشرع عبادة إلا ببرهان.

٢- قال تعالى: « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ » (الأعراف: ٣٢).

وجه الدلالة: أن هذا يقتضي عدم التحريم، والاستفهام يؤول أيضا إلى إنكار تحريمها، فالزينة والطيبات من حيث هي حلال للذين آمنوا، فتبقى على الإباحة ما لم يدل دليل على عكس ذلك.

ومن ثم فلا تسري القاعدة على عادات

الناس ومعاملاتهم التي أحدثوها ولم تكن موجودة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بخلاف العبادات التي يجب فيها التأسي وعدم الابتداع، فلا تسرى على وسائل المواصلات من السيارات، والدراجات، والطائرات، وغيرها مما أحدثه الناس في أمور معاشهم.

الشرط الثاني: وجود المقتضي للفعل في عهده صلى الله عليه وسلم:

والمقصود بذلك أن تقوم الحاجة إلى فعله ويتركه صلى الله عليه وسلم، فإذا كان الحال كذلك ولم يفعله كان تركه لهذا الفعل سنة، بشرط انتفاء الموانع -كما سيأتي في الشرط الثالث-، ويجب التأسي به في هذا الترك، فإن لم يتأس به المسلم في تركه، وقام بالفعل كان فعله بدعه يأثم عليها.

الشرط الثالث: انتفاء الموانع، وعدم العوارض:

فلا بد لكي يكون الترك سنة أن يكون ترك النبي صلى الله عليه وسلم للفعل مع وجود المقتضي لفعله، وانتفاء ما يمنعه من هذا الفعل، فإن كان الترك بسبب وجود مانع يمنع من فعله - كأسباب المنع التي سبق ذكرها - فلا يكون هذا الترك سنة محلا للتأسي.

وحكم الترك هنا يدور مع علته وجودًا وعدمًا، فمتى زال المانع وعلم انتفاؤه، صار الإتيان بالأمر المتروك مشروعا متى وجد في الشرع ما يقتضيه، أما إذا وجد المقتضي للفعل ولم يكن ثمة مانع يمنع النبي صلى الله عليه وسلم من فعله، وتركه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفعله، وفعله المسلم، فإنه يكون مبتدعا يأثم بفعله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم": «ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم له مع وجود ما يعتقد مقتضيا وزوال المانع سنة، كما أن فعله سنة، فلما أمر بالأذان في الجمعة وصلى العيدين بلا أذان ولا إقامة كان ترك الأذان فيهما سنة، فليس لأحد أن يزيد في ذلك... فهذا مثال لما حدث مع قيام المقتضي له وزوال المانع لو كان خيرًا. فإن كل ما يبديه المحدث لهذا من المصلحة أو يستدل به من الأدلة قد كان ثابتًا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع هذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا الترك سنة خاصة مقدمة على كل عموم وكل قياس». اهـ.

وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله في "الفتاوى الحديثية": «وكذا ما تركه صلى الله عليه وسلم مع قيام المقتضي فيكون تركه سنة وفعله بدعة مذمومة، وخرج بقولنا: مع قيام المقتضي في حياته، تركه إخراج اليهود من جزيرة العرب وجمع المصحف، وما تركه لوجود المانع كالاجتماع للتراويح» اهـ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في "القواعد النورانية": «والترك الراتب سنة كما أن الفعل الراتب سنة، بخلاف ما كان تركه لعدم مقتض أو فوات شرط أو وجود مانع، وحدث بعده من المقتضيات والشروط وزوال المانع ما دلت الشريعة على فعله حينئذ، كجمع القرآن في المصحف، وجمع الناس في التراويح على إمام واحد، وتعلم العربية، وأسماء النقلة للعلم، وغير ذلك مما يحتاج إليه في الدين بحيث لا تتم الواجبات أو المستحبات الشرعية إلا به، وانما تركه صلى الله عليه وسلم لفوات شرطه أو وجود مانع».

أقوال أهل العلم في حجية ترك النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه:

اختلف أهل العلم فيما تركه النبي صلى الله عليه وسلم، هل هو حجة، مثله مثل القول والفعل والتقرير، أم لا وذلك على قولين:

القول الأول: أن ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم ليس بحجة:

أدلته: أولا من القرآن: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: ٧).

وجه الدلالة: أن الله عز وجل أمرنا بإتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما أتى به، وفيما نهى عنه، ولم يذكر ما تركه صلى الله عليه وسلم، ولو كان الاقتداء به في الترك واجبًا لذكره الله عز وجل معهما.

ثانيًا: من السنة النبوية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ." وفي رواية ": ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ. وفي حديث هَمَّامٍ: مَا تُرِكْتُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ثُمَّ ذَكَرُوا نَحْوَ» (رواه مسلم).

وجه الدلالة: أن طَاعَة النبي صلى الله عليه وسلم في امْتثال الأمْر واجْتناب النَّهي، وليس فيها عدمِ فعل الترك. ويكون معنى قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ» أي: اتْرُكُوا السُّؤَالَ عمَّا لم آمُرْكُمْ به أو أنْهكُمْ عنه، لأنَّهُ لو اقْتضى الأمْرُ أنْ يأمُرَ أمرٍ، أو أنْ ينْهى نهي، لكونه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم مُبلِّغًا عن الله عز وجل.

القول الثاني: ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم حُجة:

أدلته: من السنة:

١- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «دَخَلْتُ أَنَا وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ مَيْمُونَةَ، فَأُتِيَ بِضَبٍّ مَحْنُوذٍ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، فَقَالَ بَعْضُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ: أَخْبِرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ، فَقُلْتُ: أَحَرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ. قَالَ خَالِدٌ: فَاجْتَرَرْتُهُ فَأَكَلْتُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ». (رواه مسلم).

وجه الدلالة: لو لم يكن الترك حجة ما سأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب ترك لأكل الضب، وهل تركه لتعلق الحرمة به من عدمه.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعَشِيِّ- قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: سَمَّاهَا أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَكِنْ نَسِيتُ أَنَا – قَالَ: فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضْبَانُ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَوَضَعَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى، وَخَرَجَتِ السَّرَعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالُوا: قَصُرَتِ الصَّلَاةُ؟ وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ فِي يَدَيْهِ طُولٌ، يُقَالُ لَهُ: ذُو الْيَدَيْنِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَسِيتَ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ؟ قَالَ: لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصَرْ، فَقَالَ: أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ، فَرُبَّمَا سَأَلُوهُ: ثُمَّ سَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: نُبِّئْتُ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قَالَ: ثُمَّ سَلَّمَ». (رواه البخاري).

وجه الدلالة: لو لم يكن الترك حجة ما سأل ذو اليدين النبي صلى الله عليه وسلم عن الركعتين المتروكتين، وهل تركهما لقصر الصلاة في الحضر كما في السفر، أم أنه تركهما نسيانًا.

٣- عن عائشة رضي الله عنها «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ، فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ

اللَّه صَلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فَلَمَّا أَصْبَحَ قالَ: قَدْ رَأَيْتُ الذي صَنَعْتُمْ ولَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الخُرُوجِ إلَيْكُمْ إلَّا أنِّي خَشِيتُ أنْ تُفْرَضَ علَيْكُم وذلكَ في رَمَضَانَ». (رواه البخاري).

وجه الدلالة: لو لم يكن الترك حُجة، ومحل نظر الصحابة ما أخبرهم النبي بسبب الترك: "إني خشيت أن تفرض عليكم" عند انتظار الصحابة لصلاته بهم.

القول الراجح:

هو القول الثاني القائل بأن ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم حُجة، وذلك للآتي:

١- لقوة أدلتهم، ولسلامتها عن المعارض.

٢- لأن أدلة القول الأول قد جاءت عامة، وليست في محل الدعوى.

٣- ولأن استدلالهم بالآية، والحديث على عدم الاحتجاج بالترك ليس فيه حجة؛ لأن ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الترك، لأن الترك فعل على الراجح من أقوال أهل العلم، وذلك للآتي:

أ- قال تعالى: «لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» (المائدة: ٦٣)؛ وجه الدلالة: سمى الله ترك الربانيين والأحبار نهيهم عن قول الإثم وأكل السحت، «صنعا» والصنع أخص من مطلق الفعل.

ب- عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أعْمالُ أُمَّتي حَسَنُها وسَيِّئُها، فَوَجَدْتُ في مَحاسِنِ أعْمالِها الأذَى يُماطُ عَنِ الطَّرِيقِ، ووَجَدْتُ في مَساوِي أعْمالِها النُّخاعَةَ تَكُونُ في المَسْجِدِ، لا تُدْفَنُ» (رواه مسلم).

وجه الدلالة: سمى النبي صلى الله عليه وسلم ترك دفن النخامة عملاً، فالترك داخل ضمن الفعل.

ومن ثم يعلم أن أكثر من يذكر من العلماء أنّ الترك ليس دليلاً على المنع، فكلامه محمول على القسم الأول وهو الترك بغير قصد التشريع وبيان الحكم، وليس القسم الثاني من الترك والمقصود منه التشريع وبيان الحكم، والذي قد وُجد المقتضي له، والحاجة إليه، وانتفى المانع من فعله، ومع ذلك تركه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، واحتفَّت به القرائن على أنه صلَّى الله عليه وسلَّم إنما تركه بيانًا وتشريعًا لأمَّته، وأنه لا يجوز، وأنَّ إحداثه بعد ذلك يكون من البدع.

ويتضح خطأ من يرى أن الترك التشريعي ليس بحجة، وأنه لا دليل فيه، والمنسوب لابن حزم من أجل إنكاره على بعض أصحاب المذاهب الفقهية استدلالهم بالترك، وكذا ما ذكره الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في رسالته "حسن التفهم والدرك لمسألة الترك"، والقول بغير ذلك يفتح الباب على مصراعيه لدخول كثير من البدع في الإسلام، بزعم أنها لا تخالف الشريعة، وأن لها أصولًا ترد إليها، وأن ترك النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وصحابته والسلف الصالح لها لا دلالة فيه على المنع ولا التحريم... إلخ.

وقد أجمل الشيخ الفوزان في "خلاصة الأصول" هذا المعنى فقال: «يقابل الأفعال التروك، وهي ثلاثة أنواع:

١- أن يترك الفعل لعدم وجود المقتضي له، فلا يكون سنة.

٢- أن يترك الفعل مع وجود المقتضي له بسبب مانع، فهذا لا يكون سنة، لكن إذا زال المانع كان فعل ما تركه مشروعاً غير مخالف لسنته.

٣- أن يترك الفعل مع وجود المقتضي له وعدم المانع، فيكون تركه سنة.

وهذا النوع من السنة أصل عظيم وقاعدة جليلة به تُحفظ أحكام الشريعة، ويُوصد باب الابتداع في الدين». اهـ.

والحمد لله رب العالمين.

الأطفال والمساجد

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى. وبعد:

فالمساجد بيوت الله تعالى في الأرض: قال تعالى: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (النور: ٣٦-٣٨). المساجد تصنع الرجال بالقدوة الحسنة والأخلاق العالية والعلم النافع.

عمارة المساجد بالطاعة مطلوبة لسعادة المسلم:

١- الهداية والتوفيق في الدنيا: قال تعالى: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ» (التوبة: ١٨).

٢- السعادة يوم القيامة في ضيافة الملك: عَنْ أبي هُرَيْرَةَ، عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله:... وشابٌّ نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه مُعلق في المساجد.." رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

التحذير من طرد الأطفال من المساجد:

اعتاد الكثيرون من الناس طرد الأطفال من المساجد بحجة أنهم يحدثون ضوضاء ويمرون أمام المصلين ويحتجون على جواز طردهم بحديث ضعيف جدًا، لا تقوم به حجة، ألا وهو (جنّبوا مساجدنا صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم) ضعيف الترغيب والترهيب (١٦٨).

-إن طرد الأطفال من المساجد خطأ كبير، يقع فيه كثير من الناس لأن هذا الطرد له أثره السيئ في نفوس الأطفال، فالطفل الذي اعتاد أن يطرده الناس من المسجد، سوف يكره الصلاة والذهاب إلى المسجد عندما يكبر.

إعداد **الشيخ: صلاح عبد الخالق**

وقفة هامة للتأمل:

إذا لم نجعل أطفالنا يعتادون على الذهاب إلى المساجد، وإذا لم نُعلمهم آداب المسجد والمحافظة عليه وإذا لم نعلمهم أحكام الطهارة والصلاة في صغرهم فمتى يتعلمون؟ وإذا لم يشعر الأطفال بالانتماء إلى بيوت الله وحب الصلاة في جماعة في صغرهم فمتى يشعرون؟

أخي المسلم الكريم: إذا كان بعض الناس يصطحبون أطفالهم معهم إلى أماكن اللهو المحرّم ويشجعونهم على ذلك، فلماذا لا يحافظ أهل الحق على اصطحاب أطفالهم معهم إلى المساجد وأماكن الطاعات؟

١- نبينا صلى الله عليه وسلم يصطحب أحفاده إلى المسجد:

الأحاديث كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

١- عن أبي قتادة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو يحمل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي العاص بن الربيع، فإذا قام حملها، وإذا سجد وضعها»، رواه البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣).

-استُدل بهذا الحديث على جواز إدخال الصبيان المساجد. فتح الباري (٢/٢٠٢).

٢- عن أبي بُرَيْدَةَ، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الحَسَنُ والحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم من المِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة، نظرت إلى هذين الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما. سنن الترمذي (٣٧٧٤) صحيح ابن ماجه (٣٦٠٠).

- تأمل أخي الكريم كيف أن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يغضب لمجيء الحسن والحسين، وهما طفلان يتخطيان صفوف المصلين وقت خطبة الجمعة، بل نزل من على المنبر وقطع خطبته وحملهما ولم يعاتب علي بن أبي طالب ولا فاطمة على مجيء أطفالهما إلى المسجد.

٢- الصحابة يصطحبون أطفالهم إلى المساجد اعتاد سلفنا الصالح على اصطحاب أطفالهم معهم إلى المساجد ليلاً ونهاراً، وكان ذلك شيئاً مألوفا عندهم في حياتهم اليومية؛ فعن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه» رواه البخاري (٧٠٩).

-انظروا إخواني الكرام، كيف أن نبينا صلى الله عليه وسلم قد خفف من صلاته من أجل بكاء الصبي ومع ذلك لم يعاتب أمه؛ لأنها جاءت به إلى المسجد ولم يأمرها بعدم المجيء بالصبي مرة أخرى إلى المسجد.

قارن أخي الكريم بين فعل نبينا وبين ما يفعله الناس اليوم عندما يسمعون بكاء صبي في المسجد وحدث ولا حرج.

- لم ينقل إلينا أحد من العلماء أن نبينا صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين كانوا يطردون الأطفال من المساجد، بل كانوا على العكس من ذلك تماماً، كانوا يربون الأطفال على حب المساجد والمحافظة عليها، فهل نحن أكثر فقهاً وتقوى من سلفنا الصالح؟!

وقوف الأطفال مع الرجال في صف واحد خلف الإمام في صلاة الفريضة:

الأطفال المميزون، الذين بلغوا سبع سنوات فأكثر، وكانوا يعرفون صفة الوضوء الصحيح وبعضاً من أحكام الصلاة واعتاد أهل المسجد منهم ذلك، يجوز لهم أن يقفوا خلف الإمام مع الرجال في صف واحد في الصلوات المفروضة.

-المشهور في كثير من كتب الفقه عند تسوية الصفوف أن تكون صفوف الرجال خلف الإمام أولاً ثم صفوف الأطفال ثم صفوف النساء واحتج القائلون بذلك بما رواه أبو داود عن عبد الرحمن بن غنم قال: قال أبو مالك الأشعري: ألا أحدثكم بصلاة النبي قال: فأقام الصلاة وصف الرجال وصف خلفهم الغلمان ثم صلى بهم" وهذا حديث ضعيف لا تقوم به حجة. (ضعيف أبي داود للألباني حديث ١٣٢).

والصحيح في صحيح مسلم (٤٣٢) عن أبي مسعود، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: «استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»-فمراده صلى الله عليه وسلم حث البالغين العقلاء على التقدم؛ لا تأخير الصغار عن أماكنهم. الشرح الممتع لابن عثيمين (١٨/٣).

بعض فتاوى العلماء في وقوف الأطفال:

في جواز وقوف الأطفال المميزين مع الرجال في صف واحد خلف الإمام كثيرة منها مثلا:

-عن أنس بن مالك، أن جدته مليكة، دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعته، فأكل منه، ثم قال: «قوموا فأصلي لكم»، قال أنس بن مالك فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس، فنضحته بماء فقام عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصففت أنا، واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين، ثم انصرف. رواه البخاري (٣٨٠)، ومسلم (٦٥٨).

١- سئل ابن عثيمين (رحمه الله) السؤال التالي: ما حكم إبعاد الصبي عن مكانه في الصف؟

فأجاب رحمه الله: الصحيح عدم جواز إبعاد الصبي عن مكانه في الصف لحديث عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه، ثم يجلس فيه» رواه البخاري (٩١١) ومسلم (٢١٧٧) ولأن فيه اعتداء على حق الصبي وكسراً لقلبه، وتنفيراً له عن الصلاة، وزرعاً للبغضاء والحقد في قلبه. ولأننا لو قولنا بجواز تأخير

الصبيان إلى آخر الصفوف لاجتمعوا في صف واحد، وحصل منهم اللعب والعبث في الصلاة، لكن لا بأس بزحزحته عن مكانه للتفريق بينهم إذا خيف منهم اللعب. (فتاوى أركان الإسلام لابن عثيمين صـ٣١٠ رقم ٢٣٠).

٢- سُئلت اللجنة الدائمة السؤال التالي: أمَّ رجل صبيين أو أكثر لم يبلغوا، أين يقف الصبيان، خلفه أم عن يمينه؟ فأجابت اللجنة: السُنة للصبيان إذا بلغوا سبعاً فأكثر أن يقفوا خلف الإمام، كالبالغين، فأما إن كان الموجود واحداً فإنه يقف عن يمينه لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلي في بيت أبي طلحة وجعل أنساً واليتيم خلفه وأم سُليم خلفهما، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى أنه صلى بأنس وجعله عن يمينه وصلى بابن عباس وجعله عن يمينه. (فتاوى اللجنة الدائمة ج٨ ص٢٠، ٢١).

كيف نعالج أخطاء الأطفال في المساجد؟

أولاً: الرفق مع الأطفال:

عندما يُخطئ الأطفال أثناء وجودهم بالمسجد يجب علينا أن نُعلمهم الصواب برفق وهدوء وسعة صدر لكي يعرف هؤلاء الأطفال أن هذا التصرف معهم برفق إنما هو من أخلاق الإسلام.

١-قال تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ» (آل عمران: ١٥٩).

٢- قال سبحانه: «ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ» (النحل: ١٢٥).

وعَنْ عَائشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ» مسلم (٢٥٩٤).

ثانياً: يمكن أن نجعل في كل مسجد مسؤولاً عن تربية الأطفال، يعلمهم آداب المسجد وكيفية المحافظة على نظافته، ويعلمهم كذلك كيفية تلاوة القرآن والعقيدة الصحيحة وأحكام الطهارة والصلاة، وباقي آداب الإسلام كآداب الطعام والشراب وأذكار النوم واليقظة ويشجعهم على ذلك ببعض الهدايا البسيطة أو الحلوى، فإن قلوب الأطفال تميل إلى حب من أحسن إليهم، وهذه الهدايا من أفضل وسائل تربية الأطفال.

فإذا اعتاد الطفل أن يحصل على هدية بسيطة في نهاية اليوم لمواظبته على الصلاة في جماعة والتزامه بآداب المسجد كان لهذا أثره العظيم على تحسن سلوك الأطفال في المدارس وفي المنازل وفي الشوارع.

ثالثاً: دور الأغنياء في تربية الأطفال في المساجد على الأغنياء أن يخصصوا بعضاً من أموالهم لشراء بعض الهدايا التي تشجع الأطفال على التمسك بآداب المسجد وتحثهم على حفظ القرآن الكريم وأحاديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومعرفة سيرته المباركة وسير الصحابة، ومعرفة بعض الأحكام الفقهية في الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك من الأمور الشرعية وذلك عن طريق عقد مسابقات بأسلوب بسيط لهؤلاء الأطفال وتوزيع الهدايا عليهم أمام المصلين في المسجد. وليتذكر الأغنياء أن هذا العمل سوف يكون في ميزان حسناتهم يوم القيامة إن شاء الله تعالى؛ لأنه من أبواب الدلالة على الخير.- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ». صحيح مسلم (١٨٩٣).

رابعاً: مشكلة عبث الأطفال في الصلاة وعلاجها:

من المعلوم أننا إذا جمعنا الأطفال بعضهم إلى بعض في صف واحد غالباً ما يحدث منهم اللعب والعبث الذي يشغل المصلين ويحرمهم من الخشوع في الصلاة.

وعلاج هذه المشكلة هو: أن نفرق بين هؤلاء الأطفال وذلك بأن نجعل رجلاً يصلي بين كل طفلين، وهذا يمنع الأطفال من اللعب والعبث في الصلاة.

هذا العلاج، وإن كان يستلزم أن يتأخر بعض الرجال إلى الصف الثاني أو الثالث حسب كثرة الأطفال، إلا أنه يترتب عليها فائدة كبيرة للمصلين؛ ألا وهي الخشوع في الصلاة. (الشرح الممتع لابن عثيمين جـ٤ صـ ٢٠١:٢٠٢).

الحمد لله رب العالمين.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ- 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين- القرآن الكريم، والسنة الصحيحة- ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

التوحيد
الحقد النصيري على أهل السنة
وقفات شرعية
يا دعاة
رمضان

مجلة

التوحيد

هدايا قيمة
لأول ١٠٠
من المشترين

١٠٠٠
جنيه مصري سعر الكرتونة
بدلاً من
~~١٢٥٠~~

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة
سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا
بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513